وادي مـــــزاب

المـــدينـــــة الـــدّولـــة

تـــأليف فرحات بن علي الجَعْبيري

بسم الله الرحمان الرّحيم

والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين

ملاحظـــة 1 :

عرض هذا البحث في النّدوة المنعقدة بالأكاديمية الملكيّة الدنماركيّة في جلسة عدد9 وبتارخ 7 جانفي 1999 بالاشتراك مع المناقش يحي بحيّو أصيل وادي مزاب.

وتميّـــز بسمتيـــن :

1 – **سمة الحياة النّابضة** إلى اليوم في هـــذه المـــدن إذ بقيت العروض شملت مدنا مندثرة في عديد من أطراف العالم.

2 – **سمة الإسلام** لأنّ بقية المدن كانت وثنيّة أو يهوديّة أو نصرانيّة.

ملاحظـــة 2 :

لقد اقتضت الأمانة العلميّة أن نبقي النصّ على أصلـــه كما عرض في النّدوة لكنّ هذا لم يمنع من أن نعرّف في آخـــره بمن يجب التّعريف بهم من أعلام الإباضيّة الذين ورد ذكرهم في هذا النّص.

ملاحظـــة 3 :

لقد تقرّر في نهاية النّدوة نشر هذا البحث فـــي المجلّـد المخصّص للأعمال المتعلّقة بالمدن الدولة.

لقد تعددت الكتابات عن وادي مزاب ، وإنّك لتحسّ دائما بإعجاب أصحابها بما تختصّ به هذه المنطقة من امتيازات شتى (1) لكنّك عبثا تحاول العثور على دراسة شاملة مستوفاة تخضع للمقاييس التي ضبطها Copenhagen Polis Center في دراسته عن عديد من مناطق العالم وسمّاها City-State ، (2) وقد تبيّن لعلماء هذا المركز العلمي أن وادي مزاب ليس ببعيد أن يخضع لهذه المقاييس فاعتبروها في إحصائهم

---

1) : علي يحيى معمّر : الإباضيّة في الجزائر. مكتبة وهبة ط 1 القاهرة. ص 409 . 450 1979/1399

G . Marcy : Le Mzab et les berbères ibadhites de l'Algerie . Bult de l'enseignement , publié au Maroc . n° 169 . juill - sep 1941 . P 210 - 228 .

L' d'Armagnac : Le Mzab et le pays chaamba .Alger,Baconnier, 1934 .

2) Cf : Mogens Herman Hansen :

Poleis an a CITY _ STATES, 600 - 323

A Comprehensive Research Programme .

وقد اعتمد مقال :

EE.A . Alport : The Mzab . Arabes and Berberes (London 1972) ; 141-152 . P 9 - 17

و قد اطلعنا على المقال في طبعته الثانية . وثيقة مرسلة من الكاتب نفسه وهو مدير هذا المركز .

واحدة من عديد من المدن التي تخضع لهذه المقاييس (3) ، وإنّنا سنسعى في هذه الدّراسة المتواضعة - تلبية لرغبة الهيئة الموقّرة المشرفة على حظوظ هذا الصّرح العلمي الشّامخ ضمن الأكاديميّة الملكيّة الدّنماركيّة العريقة في هذا البلد الصّديق - إلى الإجابة عن هذا السّؤال : هل يمكن اعتبار وادي مزاب City - state فعلا ؟ .

وقبل الإجابة عن هذا التساؤل الذي يعطي لهذه الدّراسة طرافتها نرى لزاما علينا أن نضع هذه المنطلقة في إطارها المكاني و الزّماني ، أمّا الإجابة عن الإشكاليّة المطروحة فستقوم على المحاور التّالية :

1 . العمران في وادي مزاب .

2 . المجتمع المزابي .

3 . الحياة الفكريّة في وادي مزاب .

4 . الحياة الاقتصاديّة في الوادي .

5 . الحياة السّياسيّة في الوادي .

3) نفس المقال ص 11 .

تمهيد

التّعريف بوادي مزاب عبر المكان و الزّمان .

"بلاد الشّبكة : يطلق هذا الإسم على هضبة صخريّة كلسيّة تقع شمالي صحراء الجزائر وتمتاز عن بقية المناطق المجاورة لها بطبيعتها القاسية ، فهي صحراء ، سمّيت كذلك لأنها تتخلّلها أودية عديدة لا يتجاوز عمقها مائة متر ، تتّجه كلّها من الشّمال الغربي نحو الجنوب الشّرقي عند بحيرة تكتنفها الرّمال شمال غرب ورقلة .

مساحة بلاد الشّبكة حوالي ثمانية و ثلاثين ألف كلم مربّع . يحدّها شمالا وادي بوزبير، وغربا وادي زرقون ، وتمتدّ شرقا فتشمل زلفانة والقرارة ، وتختلط جنوبا مع بلاد الشّعانبة .

مركزها الحالي مدينة غرداية التي تبعد عن الجزائر العاصمة ب490 كم عن طريق الجوّ جنوبا حيث نجدها في تقاطع خط العرض الشّمالي 32°,30' و خط الطّول الشّرقي 45°,3' .

أهمّ الأودية : وادي زقرير ووادي نسا ووادي مزاب ووادي متليلي .

وادي مزاب يستقبل مياه وادي العديرة ووادي الأبيض ووادي التوزوز، ويسقي واحة غرداية وواحة مليكة ، ثمّ تنسكب فيه من الغرب مياه وادي أزيول الذي يسقي بدوره جزءا من

واحة بونورة ، ثم يتّجه إلى العطف فزلفانة، و ينتهي في سبخة الهيشة على بعد 16 كلم من نقّوسة شمال ورقلة .

وبلاد مزاب هي الجزء الأكبر من بلاد الشّبكة وتضمّ اليوم المدن السّبع : غرداية ، مليكة ، بني يزقن ، بونورة ، العطف ، برّيان والقرارة . أمّا بنو مزاب فلا يسمّون بلادهم في لغتهم البربريّة إلاّ (أغلان) ويطلقون على وادي مزاب إسم (إغزر أو غلان) علما أنّ (إغزر) كلمة مزابية معناها وادي و مساحتها حوالي 8000 كلم مربّع بين خط العرض°32و'33°,2 شمالا و خطّ الطّول '0°,4 و°32 شرقا . (4)

ولقد ظلّت وادي مزاب واصلية (5) العقيدة فيما نعلم إلى أن وصلها أبو عبد الله محمدبن بكر الفرسطّائي (440 / 1049)

(6) في مطلع القرن الخامس / 11 فتحوّل أهلها إلى الإباضيّة واستمرّت على ذلك إلى يومنا هذا ، بل هي اليوم أهمّ معاقل

---

4) انظر الخريطة رقم 1 . ر. يوسف بن بكير الحاج سعيد : تاريخ بني مزاب . دراسة اجتماعيّة واقتصاديّة وسياسيّة . المطبعة العربيّة . غرداية 1992 ص9. ET_2 Mzab

5) نسبة إلى واصل بن عطاء (131/748) . مؤسّس فرقة المعتزلة .ر. الزّركلي : الاعلام . 121/9

5) الجعبيري : نظام العزّابة عند الإباضيّة في جربة نشر المعهد القومي للآثار بتونس . المطبعة العصريّة تونس 1975 ص 29 ـ 57 .

الإباضيّة في شمال إفريقيا على الإطلاق . فماذا بعجالة عن الإباضيّة وعن وصولها إلى وادي مزاب .

الإباضيّة مذهب من المذاهب الإسلاميّة وهو من أقدمها نشأة ، ذاك أن كتب الفرق والتّاريخ تنسبه إلى الخوارج ، لكنّ أهل المذهب جميعا يتبرّأون من هذه النّسبة (7) . ذاك أنّهم يعتبرون أنّهم لم يخروجوا عن الإمام علي (40 / 660) ، وإنّما بايعوا إماما لهم وهو عبد الله بن وهب الرّاسبي (9صفر 38 / 17 جوان 658) ، إذ اعتبروا أنّ عليّا قد تنازل عن بيعته بقبوله تحكيم الحكمين . وقد اتّضح موقفهم خاصّة عندما تجلّت خدعة عمرو بن العاص . و قد كانت لهم مناظرات

Of . Ennami A.K : Studies in ibàdism . a thesis submitted (7 to the University of Cambridge for the degree of Doctor of Philosophy . Fitzwilliam College , Cambridge . May / 1971 . polycope . P 1_53 .

علي يحيى معمّر : الإباضيّة بين الفرق الإسلاميّة ، مطابع سجلّ العرب . ط 1 1396 / 1976. عدّة فصول في الموضوع .

فرحات الجعبيري : البعد الحضاري للعقيدة الإباضيّة : ط جامعة السّلطان قابوس عمان 1987 ص 31 ـ 91 .

Mikko . Vehkevaara : "the distinctive features of al.Ibàdia". studia orientalia . edited by the fin ish oriental society . volume 82 . P 129 - 145 helsenki 1997

مع أمير المؤمنين الذي ناصروه قبل التحكيم ، انتهت بمعركة النّهروان (658/38) الّتي قتل فيها عبد الله بن وهب الرّاسبي . فتحوّلت الإمامة إلى عروة ثمّ إلى أبي بلال مرداس بن حدير الّذي كان يصدر رأيه عن الإمام جابر بن زيد (711/93) (8). وكانت هذه الجماعة تطلق على كيانها إحدى التّسميات التّالية : **جماعة المسلمين ، أهل الاستقامة أهل الدّعوة** ، إلى أن برز في الواجهة السّياسيّة الإمام عبد الله بن إباض (705/86) (9) وانضمّ مع المحكّمة إلى عبد الله ابن الزّبير (695/75) ، فلمّا تبيّن لهم أنّه عثماني المنزع اعتزلوه وعقدوا لهم اجتماعا في صومعة البصرة (683/64) ، فنادى من نادى منهم بالخروج و الاستعراض وتكفير المسلمين كفر شرك وعلى رأسهم نافع بن الأزرق (685/65) ، فامتنع عبد الله بن إباض وهو اللّسان النّاطق باسم الجماعة التي يقودوها الإمام جابر بن زيد سرّا عن مثل هذا الموقف ودعا إلى

---

8) وقد غفل Alport تماما عن ذكر جابر بن زيد في عرضه التّاريخي الذي مهّد به لبحثه عن مزاب الّذي ذكرناه في تعليق عدد 2

Ennami : Studies P 54 - 93 .

9) عوض خليفات : نشأة الحركة الإباضيّة . مطابع دار الشّعب عمّان الأردن 1978 . 75 . 85

القعود و التريّث فوصمت جماعته بالقعدة (10) ، وسمّيت الإباضيّة نسبة إلى عبد الله بن إباض .

وهذا التّاريخ 683/64 يعتبر اللّحظة الحاسمة التي نشأت فيها هذه الفرقة سياسيّا وعقديّا ليتجلّى فقهها بعد ذلك شيئا فشيئا على يدي إمامها جابر بن زيد ذاك الذي استقرّ في البصرة واتّخذها منطلقا للدّعوة في الكتمان رغم مضايقات الدّولة الأمويّة وتسلّط واليها على العراق الحجّاج بن يوسف (714/95).

وما أن توفّي الإمام جابر بن زيد حتى خلفه تلميذه أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التّميمي بالولاء (762/145) (11) وبإمامته تبلورت أسس المذهب سياسة وعقيدة وفقها فعرفت مسالك الدّين في السّياسة و هي **الظّهور و الدّفاع و الشّراء و الكتمان**(12) ، وتأصّلت في العقيدة أسس تنزيه

---

10) لقب يقصد به التّهجين ، فهو عند الخوارج ضرب من التّخاذل.

11) مبارك الرّاشدي : أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة وفقهه

Ennami : Studies. 94 - 135

12) مسالك الدّين عند الإباضيّة أربعة وهي : الظّهور : الإمامة الفعليّة للإباضيّة وهي شورى بينهم . الدّفاع : تعيين إمام في حالة محاربة العدوّ وتنتهي إمامته بانتهاء الحرب . الشّراء : من شروطه أن يجتمع أربعون من المخلصين فيبيعون أنفسهم في سبيل الله ، وهدفهم معسكر السّلطان ، ==>

الباري تعالى وبقيّة أسس هذه العقيدة (13) ، وتجلّت الخطوط الرّئيسيّة للفقه وأصوله قائمة على الأحوط في أغلب الاختيارات ، مع المرونة عند الاحتياج إلى ذلك . (14)

وعلى عهد أبي عبيدة أعلنت إمامة الظّهور في اليمن والمدينة المنوّرة مع ثورة الإمام عبد الله بن يحيى طالب الحقّ (748/130) وقائده أبي حمزة الشّاري (748/130). كما أعلنت إمامة الظّهور بعمان مع الإمام الجلندي بن مسعود (751/134) ، واستطاع حملة العلم إلى شمال إفريقيا أيضا وهم أبو الخطاب عبد الأعلى المعافري (762/144) وعبد الرّحمان بن رستم (160ـ 776/171 ـ 787) ، وعاصم السدراتي (ق 2 /8) وإسماعيل بن دارار الغدامسي (ق 2 /8) وأبو داود القبلي النّفزاوي (ق 2 /8) ، أن يعلنوا إمامة الظّهور سنة 758/140 بطرابلس التي انتهت سنة 762/144.

وبعد عشرين سنة تقريبا أعلن الإمام عبد الرّحمان بن رستم إمامة الظّهور بتاهرت بالمغرب الأوسط سنة 776/160 ، وتنتهي هذه الإمامة بعد أن عمّرت قرنا وثلث قرن سنة

===> و لا يقاتلون إلاّ من قاتلهم . الكتمان : تكوين نظام داخلي للإباضيّة .

عمر بن جميع : مقدّمة التّوحيد ط 2 / 1392 / 1973 ص 69

13) الجعبيري : البعد الحضاري للعقيدة الإباضيّة .

14) الرّاشدي : أبو عبيدة .

787/296 ليتحوّل معها الإباضيّة في شمال إفريقيا إلى الكتمان ، وقد حاولوا بعدها الرّجوع إلى الظّهور فشنّوا ثورتين على الدّولة الشّيعية (15) لكنّهم لم يتمكّنوا من ذلك فظلوا على مسلك الكتمان إلى يومنا هذا حيث انحصر كيانهم في جبل نفوسة و زوارة بليبيا وجزيرة جربة بالبلاد التّونسيّة وبوادي مزاب بالجزائر .

وتذكر المصادر أنّ الأمازيغ اعتنقوا الإسلام عند انتهاء الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا سنة 703/84 ، ولمّا ظهرت المذاهب الفقهيّة سبقت إلى وادي مزاب أصول المعتزلة فأخذوا بها ، وكانوا يسمّون واصلية ، نسبة إلى واصل بن عطاء (748/131).

يقول إبراهيم مطياز:" فالمعتزلة الّذين كانوا في هذا الموطن ... كانوا منعزلين عن بني رستم ، بل كانوا يحاربون الرّستميين" (16)

وأشهر علمائهم في هذا العهد سليمان بن عبد الجبّار المدفون بالعطف ، وكان معتزليّا .

ويجمع المؤرّخون على أنّ تحوّل أهل وادي مزاب إلى

---

15) الجعبيري : نظام : ص 5 ـ 6

16) إبراهيم مطياز : تاريخ وادي مزاب خ مكتبة الحاج سعيد غرداية .

ص 6 . الحاج سعيد : تاريخ بني مزاب . ص 16 .

المذهب الإباضي يرجع سببه إلى الدّعوة التي قام بها الدّاعية أبو عبد الله محمد بن بكر.

وتذكر المصادر أنّ لأبي عبد الله راعيا كان يرسله إلى وادي مزاب ، كما أنّه بعد رجوعه إلى أريغ سنّ لنفسه سنّة وهي أن يرجع هناك مع طلبته كلّ سنة وذلك في فصل الرّبيع إذ كان يقضي الشّتاء في أريغ . (17)

ولم يكن أهل وادي مزاب ليقبلوا رعاية أغنام أبي عبد الله بيسر في باديتهم إذ كانوا يسطون عليها (18) ويذكر إبراهيم مطياز أن هذا الانتقال إلى وادي مزاب كان بعد مشورة طويلة بين مشائخ أهل الدّعوة في أريغ :" انعقد مؤتمر بأريغ حوالي 420/ 1030 للنّظر في مسائل تهمّ الوطن منها قضيّة اللاّجئين من فلول رعايا بني رستم ... وقد غصّ أريغ بسكّانه وبأولئك اللاّجئين ..." فانتدب بذلك الشّيخ أبو عبد الله لأداء هذه المهمّة فقام بها على أحسن وجه ، واستقرّ الرّأي في النّهاية على النّزوح إلى هذا الوطن - وادي مزاب - وتعميره بما يصلح سكّانه المعتزلة من العلم و الألفة وحسن الجوار... وفي عام 422/1032 وصل بلدة العطف الوسط المعمور أكثر من غيره بالمعتزلة ، وكان ذلك بعد موت عالم الوطن سليمان بن عبد

17) الجعبيري : نظام : 24 ـ 25

18) ن . م : 39

الجبّار."

ويلاحظ الشّيخ مطياز أيضا أن نضال أبي عبد الله كان طويلا لتحويل هؤلاء المعتزلة إلى الإباضيّة فكلّفه ذلك أن قتلوا ابنه إبراهيم .

كما أنّ تحوّلهم هذا لم يكن جماعيا ولا فوريّا ويذكر بعض الأدلّة على ذلك منها : "وجود مقبرة في بونورة من النّفوسيين ماتوا في بعض المعارك بين المعتزلة والنّازحين إلى مزاب وذلك أواخر القرن الخامس /1 (19)

هكذا عرفنا كيف استقرّ الإباضية في وادي مزاب فكيف عمروها؟

19) الحاج سعيد : تاريخ بني مزاب : 24 .

المحور الأول

العمران في وادي مزاب

إن النّاظر في عديد من النّصوص التي تتحدّث عن مدن (20) وادي مزاب يتصوّر وكأنّها بدت متكاملة من نشأتها الأولى إلاّ أنّ الواقع يختلف عن ذلك كل الاختلاف ، فالفترة الزّمنية لإنشاء المدن الخمس الحاليّة لوادي مزاب اقتضت ما لا يقلّ عن ثلاثة قرون ونصف ، أمّا المدينتان الأخيرتان فلم تدركا هذا الخماسي إلا بعد ثلاثة قرون . فماذا عن هذه المدن؟

1- تاجنينت - العطف : هي أقدم مدن مزاب الحاليّة تأسيسا ، أنشأها خليفة بن أبغور عام 402 /1012. أمّا كلمة

---

20) يستعمل المزابيّون ثلاثة مصطلحات : القصور ج قصر ، والقرى ، والمدن ، لكنّنا نختار مصطلح مدينة لأنّنا نجد في كلّ واحدة من هذه المدن كما سيتبيّن فيما بعد جميع مكوّنات المدينة الأساسيّة ، وتعجبني ملاحظة علي يحيى معمّر الذي أراد أن يبيّن مدى التّرابط بين هذه المدن حيث شبّهها بأحياء كبيرة في مدينة واحدة ، أو بمدينة أساسيّة وهي غرداية والأخرى ضواح لها . أمّا مصطلح قصور فلا يستقيم جغرافيا في رأينا لأنّ القصور المبثوثة في شمال إفريقيا تعني غالبا أماكن لتحصين مؤونة مجموعة من القبائل مثل قصور مدنين وتطاوين بالجنوب التّونسيّ ، أمّا مصطلح قرية فهو أقرب في دلالته إلى الحياة بالرّيف ، ومدن مزاب بعيدة في عمرانها عن الحياة الرّيفيّة بل هي حياة مدينة .

تاجنينت فتدل على المكان المنخفض (21).

2. آت بونور- بونورة : بونور إسم قبيلة بربريّة . أسّست عام 1065/457 على جبيل منقطع عن باقي الهضبة .

3. تغردايت - غرداية : معنى الكلمة الأرض المستصلحة الواقعة على ضفّة مجرى الوادي . أسّست عام 1085/477 على جبيل منقطع عن باقي الهضبة، وقيل إنّ تغردايت تصغير لكلمة أغرداي الذي هو الجبل (22).

4. آت يزجن - بني يزقن (23) : أسّست عام 1321/720. أصل المدينة تافلالت ، ولا يزال هذا الإسم يطلق على أول أحياء

---

21) ينقل الحاج سعيد عن Gouvion ما معناه : " يوجد في العطف ثلاث عشرة عائلة أصلها معتزلة مقسّمة على العشائر الثّلاث في المدينة . "

تاريخ بني مزاب : 21. 22

22) وقيل : " كانت عجوز زناتيّة تأوي إلى غار غرب الجبل الذي بنيت فيه المدينة تسمّى داية ، فنسب المكان إليها . فسمّي غارداية . محمّد علي دبّوز : نهضة الجزائر الحديثة . المطبعة التّعاونيّة ط 1 . 1385 / 1965 . ج1 ص 163

23) وتنطق أيضا: بني يزقن . وبني يسقن وبني إزقن . تاريخ بني مزاب ص22 .

المدينة في الجزء الأعلى منها (24).

5. أتملشت - مليكة : سبب تسميتها أنّ رجالا عمروها من بلاد تسمّى مليكش و مليكش قبيلة أمازيغية منتشرة في شرقي الجزائر . أسّست سنة 1355/756، قريبا من أغرم أنودّاي شماله وأكثر ارتفاعا منه .

6 . القرارة : انطلق تأسيسها سنة 1630/1040 ولم تحتلّ مكانها الحقيقي مع بقيّة المدن إلا سنة 1669/1080 وقد بنيت في ربوة عالية على ضفاف وادي زقرير تكتنفها الجبال من شرقها وغربها وتكون كالحصن لها ... وسمي المكان قرارة لأنّه في قرارة الوادي وتقع القرارة على بعد تسعين كلم شمال شرقي غرداية ، وتبعد عن تقرت بنحو 180كلم . (25)

7. بريّان : أسّست على ملتقى وادي السّودان ووادي باللّوح سنة 1090/ 1679 ، وتقع على جبل منقطع تحوطه جبال منيعةمن شرقه وغربه وجنوبه ، وتمرّ ثلاثة أودية هي رافد لوادي النّسا الكبير من شرقه، وهي أكثر الأودية سيلانا في

---

24) يقول الشّيخ امحمّد اطفيّش :" ففي أعمال قسنطينة قوم يسمّون أوّلا يسقن ، جاءت طائفة منهم إلى هذه القرية فنسبت إليهم . " نقلا عن : تاريخ بني مزاب ص23 .

25) دبوّز: نهضة 1 /164 وقد اختلف مع الحاج سعيد في شأن أسبقيّة القرارة لكنّنا نرجّح أنّها أسبق نشأة من بريّان وهذا متداول عند المزابيّين .

مزاب ، فلذلك سمّي المكان بريّان لخصبه وكثرة مياهه.وتبعد عن غرداية بنحو أربعين كيلومترا إلى شمالها . (26)

إنّ اختيار مجلس مشائخ وادي أريغ لهذه المنطقة بالذّات لإقامة كيان إباضي جديد لم يكن من باب الصّدفة ، وإنّما كان عن دراسة دقيقة للماضي ، وتشوّف للمستقبل الذي يتناسق ومرحلة الكتمان ، حيث سيعملون جاهدين للمحافظة على عقيدتهم بغير دولة تؤيّدهم ولا حكومة تنصرهم ، ولا قوّة ماديّة تدافع عنهم ، وفعلا كم رأوا في ما مضى من هجومات تتسلّط عليهم قصد إذلالهم وحسدا لما عندهم من أمن واستقامة لا يتوفّران دائما في غير أوساطهم ،" ولولا صبرهم على تحمّل المشاق ، وتكبّد الأتعاب ، وشظف العيش ، لما استطاعوا المحافظة على مبدئهم ، ولما فرّوا إلى قمم الجبال ، وأعماق الصّحاري ، وجزر البحار ، قانعين بما لديهم ، زاهدين في الدّنيا ، راجين فضل الله تعالى . " (27)

---

26) دبّوز : نهضة 1 /164 . ولزيادة التّفصيل في شأن هذه المدن انظر الحاج سعيد : تاريخ بني مزاب : 21 . 24 .

دبّوز : نهضة 1 /161 . 165

P . Cuperly : Aperçus sur l'hiotoire de l'ibàdisme au Mzàb . Al Risàla sàfya Fi bad tawàrikh ahl Wadi Mizab de Muhammad Atfayyas . traduction française (extraits) avec introduction et notes . 1973 polycope . P23 - 52

27) الجعبيري : نظام 6 .

لقد عرف هؤلاء المشائخ ما جناه الإباضية من بلاء في سدراته وريثة تاهرت ، حيث جنحوا إلى شيء من التّرف و الرّخاء ، فعملوا على أن يسلكوا في وادي مزاب مسلك التّقشّف و الزّهد و مكابدة شظف العيش حتّى لا يلفت كيانهم الجديد أنظار الآخرين .

فالشّبكة صحراء قاحلة ، ضمن صحراء أخرى قاحلة ، وأوديتها شحيحة ، و الأمطار فيها نادرة ، و المياه الجوفيّة بعيدة بعيدة ، أليس اختيار مثل هذه المحيط القاسي إلاّ خطّة استراتيجيّة دقيقة للحفاظ على الكيان وللدّفاع عن الذّات وحتّى لا يتصوّر الآخرون أنّه يمكن أن تكون هناك حياة ، وفعلا يظل المتّجه إلى هذا الوادي في صحراء حتّى يفاجأ من طرفي الوادي (28) أنّه إزاء عمران غريب ، فلا يمكن أن يصل إلاّ وقد علم أهل الوادي باقترابه من محيطهم فيقرأون له ألف حساب ، بل إذا تحرّكت قوّات من هنا وهناك يتعرّفون على حقيقتها ويتّصلون بها قبل أن تصل إلى هناك (29) ، وبهذا يتّضح أنّ هذا المحيط الجغرافي القاسي درع حصين لأهله ويتماشى ومتطلّبات المدينة الدّولة التّي تبذل كلّ ما في وسعها للحفاظ على ذاتيّتها واستقلالها .

---

28) G . Marcy : op.cité : 211 .

29) انظر ما يلي موقفهم مع صالح باي قسنطينة ومع فرنسا .

ثمّ لنا أن نطرح هذا السّؤال فلماذا خمس مدن متلاسقة تقريبا ثمّ مدينتان ؟ الحقيقة أنّ في هذا المسلك ضربا آخر من ضروب التّحصين ، فبما أنّ الأمر نجح مع الأولى وهي العطف ، فلم لا تنضاف لها ثانية ثم ثالثة ثمّ رابعة ثمّ خامسة ؟ ولكلّ منها كيانها المتكامل المستقلّ مع الارتباط العضوي بالأخريات ، لم يختر أهل الوادي أن يقوم عمرانهم على مدينة واحدة تتعاظم فتلفت الأنظارفإذا هوجمت فلا مغيث ، وإنّما سلكوا هذا المسلك فحتّى إن أصاب واحدة سوء أغاثتها الأخريات أو وجدت هي ملجأ في هذه الأخريات في أسوء الحالات إذا استؤصلت عن آخرها .

وأمّا عن هيكل هذه المدن التي تتفاوت في حجمها فهو هيكل واحد خاضع لقانون واحد يتماشى وهيكل المدينة الإسلاميّة في كلّ مكان مع وجود بعض الفويرقات ، فكلّ هذه المدن قابعة على أعلى المرتفعات ، و هناك تتوسّطها مئذنة المسجد الجامع بشكلها الخاص الذي لم يعرف الزّخرف إليه سبيلا ، ثم تلتفّ الدّور حلقات حول هذا المحور لتصل تدريجيّا إلى المنخفض فيكون قفا آخر دائرة لهذه الدّور سورا منيعا تنفتح منه بعض المداخل التي تعلو أهمّها أبراج للحراسة ، أمّا عن السّوق فهي ساحة صغيرة تقع عند المدخل الرّئيسي للمدينة

أو خارج السّور(30) .

ولسائل أن يسأل أين مركز الإدارة ؟ ذاك هو الفارق مع بقية المدن الإسلاميّة . ذاك أنّه هنا ليس هناك دولة وإنّما هو مجلس الشّيوخ في الجامع ، ذاك المجلس الذي لا تقوم صغيرة ولا كبيرة في المدينة إلاّ بإذنه ، ولولاما لذلك المجلس من هيبة روحيّة ما كانت مدن مزاب على مثل ذلك التّناسق في هيكلها ، ذاك الذي يبدو لأوّل وهلة وكأنّه عفويّ ، وإلى زمن ليس ببعيد كانت المدينة تغلق أبوابها ليلا ولا يدخل إلاّ من يعرف كلمة السّرّ،إنّها المدينة الدّولة ولكنّها ليست لها دولة بالمفهوم الكامل.

---

30) الحاج سعيد : تاريخ بني مزاب : 24 .ويقول الحاج سعيد أيضا : " أمّا في الامتدادات الأخيرة للمدن المزابيّة فأصبح بعضها يتمتّع بأسوار مستقلّة عن المنازل ، بينها وبين هذه الأسوار شارع عريض . تلك هي الحال بالنّسبة إلى بني يزقن التي يبلغ طول آخر أسوارها 2500 م ، وارتفاعه حوالي ثلاثة أمتار ، تتخلّله خمسة أبواب وأبراج متفاوتة الأهميّة ، أشهرها البرج المنسوب إلى الشّيخ بالحاج المدفون قريبا منه . هذا البرج يعلو المدينة، وارتفاعه حوالي 14 م ويتألّف من خمسة طوابق ، يستند إلى دعامتين تسمّى الواحدة منهما بالمزابيّة "بوليلا ." تاريخ : 86 . و للتّعرّف على أهمّيّة السّور في المدينة الدّولة انظر: Pierre Ducrey: La muraille est elle un élement constitutif d'une cité . Acto of the Copenhagen Polis center vol 2 . Copenhagen 1995 .

وهذه الدّور كثيرة التّشابه بحيث لا تفرّق بين دار غنيّ ودار فقير، مساحتها لا تتجاوز مائة متر مربّع تشتمل على طابقين وسطح تلك هي الدّار الكاملة ، ومن الدّور ماهو أصغر فمساحتها نحو خمسين مترا و تسمّى بنصف الدّار ، أمّا ربع الدّار فمساحتها نحو ثلاثين مترا تشتمل كلّها على المرافق الضّروريّة وتخضع لضوابط معماريّة متّفق عليها (31) هكذا يتجلّى أنّ لكلّ دار حصانتها الكاملة التي تحمي أهلها و تمكّنهم عن طريق السّطوح من الاستعانة بالجيران عند الضّرورة .

أمّا أزقّة المدينة فهي عادة ذات ثلاث أذرع عرضا ، روعي في عرضها أقلّ ما يكفي لتلاقي دابّتين ، ولتمرير جنازة ، كما نلاحظ تسقيف بعض الطّرقات لأهداف دفاعيّة ، منها أنّ العدوّ الرّاكب ، إذا تمكّن من دخول المدينة ، فإنّه لا يستطيع الوصول إلى المسجد ، قلبها ومقرّ القيادة فيها ، ومستودع الذّخيرة والمؤن ، إلا بصعوبة ، كما أنّ بواسطة هذه التّسقيفات يمكن لأهل المدينة التّنقل على السّطوح من حيّ إلى حيّ دون اللّجوء إلى

---

31) من هذه القواعد : . أنّ علوّ الدّار لا يفوق ١٥ ذراعا .

. لايجوز للجار إسناد الدّرج إلى جدار الجار إلاّ بإذنه..."وفي كل بلد يعيّن أمينان في عرف البناء إليهما ترفع الشّكايات وذلك ما ينصّ عليه اتّفاق مجلس وادي مزاب في 1156 / 1743 .

الأزقّة ... وهناك شوارع أكثر عرضا من غيرها مزوّدة بمقاعد مبنيّة ، كانت في القديم أسواقا للمدينة (32) . ولقائل أن يقول من أين يشرب أهل هذه المدن ؟ إنّها الآبار الجوفيّة التّي يتعاون أهل المدينة على حفر عدد وافر منها ، ومنهاماهي خاصّة ومنها ما هي عموميّة ولا يقلّ عمق كلّ منها عن 60 م .

وليتكامل كيان كلّ مدينة فإنّك تجد أنّ لكلّ منها واحة برع المزابيّون في ضبط منشآت الرّي فيها من آبار وسواق وسدود لتوفير الضّروريّ من الإنتاج الفلاحي والمنتزه والمصيف لأهل المدينة إذ بهذه الأجنّة مساكن تأوي إليها العائلات لقضاء فصل الصّيف الحار لتتمتّع بلطافة الجوّ (33) . وللحياة في الغابة كما

---

32) الحاج سعيد : تاريخ : 86 . 91

33) لزيادة التّفصيل في التّطوّر العمراني انظر : Chistian Bousquet

: Les citadins de Beni Isguen , Mzab (ALGERIE) . Dans Petites villes et villes moyennes dans le monde arabe . Tours URBAMA 1986 P 435 - 450.

Ch . Bousquet : Perennité du centre ancien au Mzab : le cas de Beni Isguen. (dans présent et avenir des médines) tours .E .R. A .706.1982 P 9-22

Jean Brisson : Pays de Ouargla et Mzab . Emploi , urbanisation . régionalisation au sahara Algérien . Tours CNRS . 1979, P 53 - 104

يقول المزابيّون تنظيمها الوقائي الدّفاعي المتكامل ، إنّه هيكل المحراسة (34) ، تلك المحراسة التيّ يتولاها أهل المدينة جميعا يتداولون عليها ليل نهار حتى لا يباغتهم مكروه .

ذاك هو مظهر العمران في وادي مزاب وواضح أنّه يؤهّلها بحقّ أن تكون واحدة من المدن الدّولة المبثوثة في أطراف العالم .

34) نفسه : 37 . 42.

المحور الثاني

الحياة الإجتماعية

بوادي مزاب

يتصوّر بعضهم أنّ بني مزاب نزحوا إلى سدراتة من تاهرت عند انقراض الدّولة الرّستميّة ، وأنّ سكان سدراتة هاجروا منها إلى وادي مزاب عندما خرّبها الميورقي سنة 626 / 1229 وعمروه وأسّسوا قراه .

إلاّ أنّ مثل هذا التّصوّر يبدو واهيا من أوّل وهلة إذ يجعل إباضيّة المغرب جماعة من النّاس تطوف من مكان إلى مكان ، والأمر يختلف عن ذلك كلّ الاختلاف كما سنبيّن .

فسكّان مزاب الأصليّون من قبيلة بني مصعب الأمازيغيّة فرع زناتة العظيمة " كما يقول عبد الرّحمان باكلي (1319 ـ 1407 / 1901 ـ 1986) (35) ، ومعلوم أنّ زناتة قبيلة بربريّة بتريّة ، ومصعب هذا هو مصعب بن بادين ، انتقل بنوه إلى الوادي مع بني إخوته عبد الواد وتجين وزردال ، وهم من الطّبقة الثّانية من زناته . انتقلوا إليها لأسباب سياسيّة حسب ابن خلدون . (36)

قال ابن خلدون (1406/808) :" وقصور مصاب سكّانها لهذا العهد شعوب بني بادين من بني عبد الواد وبني توجين

---

35) عبد الرّحمان باكلي : فتاوي البكري 2 /363 عن الحاج سعيد : تاريخ 13 .

36) ابن خلدون . العبر . ط بيروت 1971 . 7 / 129

ومصاب وبني زردال في من انضاف إليهم من شعوب زناتة
وإن كانت شهرتها مختصّة بمصاب ." (37)

و حسب الشّيخ أبي إسحاق اطفيّش (1386/1966)

---

37) نفسه . ويقول . بحاز إبراهيم إجابة على سؤال : من هم المزابيّون ما يلي :" إنّ بني مصاب (المزابيّون) من البربر من زناتة ، كانوا يقطنون سفوح جبال الأوراس إلى سفوح جبال ملويّة مع بني عمومتهم بني وادين أو واسين ، ومع هبوب رياح الهجرة الهلاليّة في القرن 5 / 11 ، زحزح المزابيّون مع بعض من معهم من تلك المناطق الشّماليّة إلى منطقة شمال الصّحراء ، واختار المزابيّون منطقتهم الّتي تعرف بهم إلى يومنا هذا والتي حدّدها المؤرّخ ابن خلدون تحديدا دقيقا حيث يقول : ومن بني واسين هؤلاء بقصور مصاب على خمسة مراحل من جبل تيطر في القبلة لما دون الرّمال ، على ثلاث مراحل من قصور بني ريغة في المغرب ، وهذا الإسم للّذين اختطّوها ونزلوها من شعوب بني بادين ، وضعوها في أرض حرّة على أحكام وخراب ممتنعة في مسارحها بين الأرض المحجّرة المعروفة بالحمادة في سمت العرق ، متوسّطة فيه قبالة تلك البلاد على فراسخ في ناحية القبلة ، وسكّانها لهذا العهد شعوب زناتة ، وإن كان شهرتها مصاب " العبر : 7 /123 ، مقال بعنوان : الميزابيّون المعتزلة قراءة جديدة لنصوص قديمة ، مجلّة الحياة . نشر جمعيّة التّراث القرارة . المطبعة العربيّة غرداية 1418 /1918 العدد الأوّل ص 126.

فإنّ هجرة بني مصعب إلى بلاد الشّبكة تمّت في القرن الثّاني/ 8 . (38).

وكان بنو مصعب يسكنون الخيام والغيران ثم أسّسوا تجمّعات سكنيّة تطوّرت حتّى أصبحت قرى ، نذكر منها (أغرم . نتلز . ضيت) وهي الآن خربة تبعد 6 كلم جنوب شرقي العطف . أمّا تاريخ تأسيسها وخرابها فمجهول ، وعلى أنقاض هذه القرى (39) أو بجوار منها أقيمت قرى مزاب أو قصورها الّتي تحوّلت شيئا فشيئا إلى مدن .

ويرجّح في هذه المرحلة أنّ كلّ قبيلة كانت تدير شؤونها ، وأنّ كلّ قرية كانت تحكم نفسها . وكان لكلّ قبيلة مجلس تنتخبه القرية بواسطة أعيانها ، وإذا كانت القرية تشتمل على قبائل كثيرة قدّمت كلّ قبيلة من يمثّلها في المجلس ، ويرأس المجلس رئيس ينتخبه الأعضاء من بينهم .

إنّ هذا المجلس هو الّذي يدبّر أمور القرية ، ويسنّ القوانين لها ، ويفضّ خصومتها ، إنّه المجلس التّشريعي والقضائي ،

---

38) نقلا عن الحاج سعيد : تاريخ : ص14 ودون أن نتوغّل في التّحاليل الصّوتيّة فإنّ هذه الكلمة تنطق بالوجوه التّالية : مصعب . مصاب . مضاب ، ومزاب ، وميزاب وأشهرها اليوم مزاب . انظر : معمّر : الإباضيّة في الجزائر . 426 . 435 ، الحاج سعيد : تاريخ : 13

39) الحاج سعيد : تاريخ : 17 . 18 .

ورئيس المجلس هو القوّة التّنفيذيّة .

لقد أيّد هذا النّظام "الدّيمقراطي" ما جبل عليه البربر من حبّ الاستقلال ، والاعتداد بالنّفس ، والاعتماد عليها ، فكرهوا أن يسوسهم أمير واحد ، قد يجور عليهم فيعاملهم بما لا يوافق مزاجهم (40).

لقد كانوا في أوّل أمرهم في وطن لا يجاوره أعداء فيفكّرون في اغتصابه والسّيطرة عليه ، ولم يكن همّهم إنشاء دولة تنافس الدّول الأخرى ، ولم تكن حياتهم معقّدة بالتّحضّر والتّمدّن، فتحتاج إلى جهاز إداري ، بل كانوا على البساطة في كلّ شيء ، ذاك ما سمح لكلّ قرية أن تستقلّ بشؤونها (41).

جاء الإسلام فوجد البربر يسلكون هذا المسلك مثل مسلك العرب في مكّة (42) ، فأقرّمنه ما يتماشى وتعاليمه ، ولا نعرف ما كانت عليه الأوضاع الاجتماعيّة تفصيلا مع المعتزلة ، ولعلّها لا تبعد عمّا ذكر، فجاء الإباضيّة بدعوتهم المرنة في مطلع

---

40) ... cf . l'd'Armagnac: le Mzab لقد أقام مقارنة بين الدّوناتيّة (Donatisme) وبين الإباضيّة من حيث تأثيرهما في حياة البربر لما فيهما من نزعة ثوريّة ومن رغبة في الاستقلاليّة ورفض للهيمنة الخارجيّة .

41) الحاج سعيد : تاريخ : 18 . 19

42) حميد الله الحيدر آبادي Hamidu.ll-àh al haydar Abàdi:The City-State of Mecca:

القرن الخامس / 11 وتآلفوا بعد نصيب من الجهد مع أهل هذا الوطن وأقبلت وفودهم تدريجيا فعمرت المكان .

وهذه الهجرات منها ماكان لأسباب اقتصاديّة :" لقد غارت عيون الماء في سدراتة ووارجلان ، فضاقت الحياة بالنّاس لاسيّما أصحاب الماشية... فلم يجدوا منتجعا لإنقاذ ماشيتهم غير بادية بني مصعب... هكذا قرّروا أن يتّجهوا إليها " (43).

ومنها ما كان لأسباب سياسيّة أهمّها انقراض دولة بني مدرار في سجلماسة عام 976/366، ووصول بني هلال إلى المغرب عام 443 / 1050، والتّخريب الأوّل لسدراته عام 1075/467 على يد أحد أمراء بني حمّاد المنصور بن النّاصر، والتّخريب الثّاني لها عام 1229/626 على يد يحيى بن إسحاق الميورقي المرابطي المعروف بابن غانية في ثورته ضدّ الموحّدين، وخرّبت سدراته أخيرا عام 1274/672.

يضاف إلى هذه الهجرات الجماعيّة استقبال وادي مزاب لعائلات أو لأفراد على مرّ القرون من المناطق المذكورة ومن غيرها... فقد أتى هؤلاء المهاجرون من سدراتة و وارجلان ووادي أربغ وقصر بني خفيان قرب المنيعة وجبل عمّور ، قصر البخاري ، والمديّة ووادي غنيم قرب الأبيض سيدي الشّيخ .

---

43) معمّر : الإباضيّة في الجزائر 346

ومن جبل نفوسة ، وجزيرة جربة ، وقسطيليّة ، ومن سجلماس
وغيرها. (44)

وهكذا يتبيّن أنّ اسم بني مزاب صار يطلق على هؤلا
جميعا مع اعتناقهم للمذهب الإباضي، وإن كانت التّسمية ف
الأصل عريقة بالانتساب إلى جدّ واحد هو مصاب ، فقد صار
بعيدة عن العرقيّة كلّ البعد وهي إلى الانتماء الجغرافي أقرب
تضاف إليها العقيدة الإسلاميّة على المسلك الإباضي ، وفعلا لق
صارت كلمة مزابي تعني إباضيا والعكس صحيح وإن كانت
الإباضيّة لا تنحصر في هؤلاء كما هو معلوم .

هؤلاء جميعا حينئذ شاركوا بني مزاب الأصليين في إنشا
قراهم وتعميرها ، فصاروا جميعا بني مزاب ، واستقام بينه
نظام اجتماعي متكامل هاك أبرز ملامحه .

يسكن بكلّ مدينة عرش يخضع لقانون واحد ، و ينقسم
العرش إلى عدد من القبائل . فعرش بني يسقن مثلا يتكوّن من
ثلاث قبائل : أولاد يدر ، وأولاد موسى ، وأولاد عنان . يقول
Masqueray : " في القرن الحادي عشر/17 استقبلت يسقن أولاد
عنان وكوّنت منهم قبيلة مستقلّة ثالثة . وهو ما ساعدها على
الحفاظ على الأمن والوقاية من الفتن الدّاخليّة ، والتّفرّغ للعمل

44) الحاج سعيد : تاريخ 26 . 27

على ازدهار المدينة وواحتها." (45)

تضمّ كلّ قبيلة عددا من العشائر، وتنتخب كلّ عشيرة رئيسا عليها يسمّى ضامنا . و ضمّان القبيلة الواحدة يختارون من بينهم زعيما يسمّى مقدّم القبيلة .

يرأس العرش أحد المقاديم وينوب عنه مقدّم ، وذلك بالتّناوب بين القبيلتين أو الثلاث . و رئيس العرش يسمّى رئيس الجماعة ، أي جماعة الضّمّان .

و فيما يخصّ بني يسقن فإنّه كان لكلّ قبيلة من القبائل الثّلاث خمسة ضمّان يختارون من بينهم مقدّما .

ولا يحقّ لأي عشيرة أن تتدخّل في أمور عشيرة أخرى ، كما ينصّ اتّفاق حلقة عزّابة بني يسقن في رجب 1198/1784.

ويعرف الشّيخ القرادي العشيرة كما يلي :" هي مجموعة عائلات تنحدر في الغالب من جدّ واحد... إنّ العشيرة ليست وحدة عرقيّة كما يبدو، ولكنّها وحدة تنظيميّة أو وحدة اجتماعيّة، ومهما يكن من أمر فإنّ نواة العشيرة الأولى عرقيّة (سلاليّة) لا محالة ، لكن إمكان قبول كلّ من يطلب الانتماء إليها

45) cf. Masquery : Formation des cités chez les populations sèdentaires de l'Algerie (Beni Mzab). Aix-en-Provence. Ed . Sud 1983 . p: 50

بالاختيار أو بالولاء يخرجها من دائرة القبيلة". (46)

ولكلّ عشيرة دار بالمدينة تسمّى دار العشيرة يجتمع فيها الأعضاء المنتخبون لينظروا في شؤون عشيرتهم الزّمنيّة والرّوحيّة ، ذاك أنّ العشيرة هي التّي تقوم بشؤون الأيامى والأرامل والفقراء وتكفل اليتامى وتختار لهم من يقوم بشؤونهم إذا مات أبوهم دون أن يوصي لهم بوكيل . كما أنّ العشيرة هي التّي تؤدّي ديّة القاتل(47) وبدار العشيرة تقام الأفراح والأتراح ويستقبل الضّيوف (48) . ولمجلس كلّ عشيرة ميزانيّة من كلّ أفراد العشيرة ، كلّ بما يقدر ، من هذه الميزانيّة ما ينفق على ما ذكرنا ، ومنها ما ينفق على المصالح العامّة للمدينة (49) .

---

46) الحاج سعيد : تاريخ 28

47) مقابلة Cuperly مع الشّيخ بيّوض شيخ وادي مزاب في 13 مارس 1971 بالقرارة بيّن فيها كيف يتميّز المذهب الإباضي في هذا الشّأن ويعطي للعشيرة صلاحيّة كبيرة ومن ذلك أنّ الإباضيّة يحمّلون العشيرة مسؤوليّة كفالة الأيتام بينما يرى المالكيّة أنّ القاضي هو الذي يقدّم الوصيّ لليتيم إلخ ... انظر EA 30 . ص 26 . 39

48) لقد عرفنا كثيرا من هذه الدّور عند زياراتنا إلى وادي مزاب وهي مجهّزة تجهيز عصريّا متكاملا يخولها أن تقوم بكلّ الوظائف التي حدّدت لها.

49) لزيادة التّفاصيل : انظر : معمّر : 547 . 551 .

ذاك أنّ مجلس الضّمّان (الجماعة) يشتغل بالأمور العامّة للمدينة ، ويصدر القرارات ، ويشرف على حفظ الأمن ، وحراسة البلد . ولهذا المجلس ميزانيّة يجمعها من مختلف العشائر ويصرفها في أشغال بناء المنشآت العموميّة وصيانتها، ومنها تقسيم المياه وبناء السّدود .

هكذا نتبيّن أن كلّ مدينة في المجتمع المزابي تستقلّ بشؤونها الخاصّة ، وتديرها جماعة الضّمّان المنتخبون ضمن عشائرهم ، فلا أسرة مالكة ، ولا طبقة عسكريّة ، ولا طبقة أشراف .

وبما أنّه لم يكن هدفهم يوما التّوسّع على حساب غيرهم ، فإنّهم لم يحتاجوا إلى قادة عسكريّين محترفين ، فلا يشكّلون جيشا إلاّ للدّفاع عن أنفسهم أو لنجدة إخوانهم (50) .

---

50) الحاج سعيد : 48 . 49 .

لقد ذكر Alport في مقالة عن مزاب ملاحظة Masqueray التّشابه بين التّقسيم القبلي في روما وفي وادي مزاب وهاك النتيجة التي وصل إليها Masqueray من مصدرها ، يقول : Ces raprochements , dont quelques differences de détail ne sauraient détruire l'évidence , nous permettent de conclure sûrement que les curies romaines et les quebîlat mozabites ne sont qu'un seul et même organe social , qu'elles se sont formées dans les conditions pareilles , enfin que les unes ne sont pas plus artificielles que les autres . <===

وقبل أن نصل إلى التّعاون بين كلّ المدن يحسن أن نقف
عند نظام الحراسة في كلّ قرية ويشرف عليه جماعة تعرف
بالمكاريس أو جماعة الحراسة ، أو أمسطوردان
أو أمسوردان (51).

وإن لم تحدّد المصادر تاريخا لنشأة هذا النّظام فإنّنا نرجّح
أنّ هذه النّشأة مرتبطة بنشأة القرى ونشأة نظام العشائربها
ذاك أنّ من مبادئ الإباضيّة الأساسيّة الأمر بالمعروف والنّهي عن

A une certaine èpoque , la Rome primitive resembla donc <===
une cité de l'Oued Mezâb P253 .

حسنا فعل ماسكري بملاحظة وجود بعض الفوارق ، لكنّها لا تصل إلى
حدّ نفي التّشابه . وهدا التّشابه ليس بغريب في رأينا ذاك أنّ الإنسان مدني
بطبعه ، وأبرز سمة لهذه المدينة في بدايتها تتجلّى في هذه التّنظيمات
الاجتماعيّة القائمة على العرق إذ تكاد تكون فطريّة كما هي الحال بالنّسبة
إلى النّمل والنّحل مثلا ، لذلك تجد أنّ كلّ الدّراسات الاجتماعيّة تنبّه لذلك
و كذلك الشّرائع ، وهذا القرآن نفسه يقول " يا أيّها النّاس إنّا خلقناكم من
ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا" 49 الحجرات 13

وقد لاحظنا من قبل كيف أقرّ الإسلام النّظام القبلي عند العرب
وجعل للقبيلة وظائف أساسيّة من أبرزها تولّي ديّة القتيل . : lasqueray
ormation des cités chez les populations sédentaires de l'Algerie
(... Beni Mzàb) . Aix -en - Prorence Edi sud 1983

51) معمّر : الإباضيّة في الجزائر : 551 . 563

المنكر ، وهذه الحراسة هي من جهة ضرب من الحسبة ، ومن جهة
أخرى حراسة للمدينة من كلّ طارئ يريد بأهلها سوءا .

إنّ هذه المؤسّسة مستقلّة من حيث الإدارة والتّصرّف عن
نظام الحلقة ، وعن مجالس العشائر ، ولكنّها مرتبطة بهما
شرفيّا ، وهي مخوّلة تلقائيا باتّخاذ الإجراءات الكاملة في جميع
مجالات عملها دون اعتراض من أحد .

يتلخّص عملها في ما يلي : السّهر التّام على الأمن العام ،
والإشراف على الأشغال العامّة ، وتنظيم الأعمال التّطوّعيّة ،
وتوزيع الصّدقات في مواعيدها ، وحماية المجتمع من شرور
المنحرفين ، والمحافظة على قداسة مجلس العزّابة ، وحمايته ممّا
يتهدّده من داخل أو من خارج .

وتنقسم المؤسّسة إلى ثلاث طبقات هي : طبقة الصّغار ،
وطبقة المتوسّطين ، وطبقة الكبار. ولكلّ طبقة هيئة ورئيس
ينظّم جميع مهامها ويربطها بالطّبقة التّي فوقها ، وطبقة
الكبار تشبه أن تكون مجلس إدارة موسّعة للمؤسّسة وعليها
وضع الخطط ، وترتيب الحراسة ، وتفقّد الحرّاس حال الحراسة ،
واستكشاف نقاط الضّعف منهم لتتلافاها ، والحضور لدى هيئة
العزّابة للمفاوضات والمراجعات في القضايا الّتي تهمّ الهيئتين،
ورئاسة المجلس العام تكون لأكمل طبقة الكبار كفاءة وأقدمهم
وجودا في المنظّمة .

وللانضمام إلى المؤسّسة شروط محدّدة أساسها التّقوى

والشّجاعة والانضباط ، وكيفيّة معيّنة أساسها أن يقدّم المترشّ
طلبا بواسطة أحد أفراد الهيئة فينظر في شأنه مليّا ثم يلحق
بطبقة الصّغارمهما كان عمره وعلمه وجاهه إن توفّرت فيه
جميع الشّروط .

ومقرّ هذه المؤسّسة المحاضر في الجامع (وهي المدارس
القرآنيّة المركزيّة) ، وتنظيمها الدّاخلي يختلف بعض الاختلاف
من مدينة إلى أخرى ، ولعلّ الصّورة الكاملة هي المتّبعة في
غرداية .

ونضرب لذلك مثالا هو تنظيم الحراسة : تقسّم المدينة إلى
مناطق حسب الأحوال وتعتبر كلّ منطقة مركزا فرعيّا ويتولّى
أمر هذا المركز الفرعي ثلاثة يرأسهم واحد منهم يكون مسؤولا
أمام رئيس المؤسّسة الأعلى . ووظيفة هذا المركز الفرعي أن
يقسّم منطقته حسب الأحوال إلى تقسيمات يجعل على كلّ قسم
منها فرقة تتكوّن من ثلاثة يرأسهم واحد منهم يكون مسؤولا
أمام رئيس المركز الفرعي . وكلّ فرقة تقسّم إلى رفقات تتكوّن
كلّ رفقة من ثلاثة يرأسها واحد منها يكون مسؤولا أمام رئيس
الفرقة . وهكذا يتبيّن أنّ التّسلسل التّصاعدي يكون رفقة
ففرقة فمركزا فرعيّا فالقيادة العليا.

ودون أن ندخل في التّفاصيل العمليّة يحسن أن نذكر أنّ
أعضاء الرّفقات حين ينطلقون إلى أعمالهم في الحراسة لا بدّ أن
يخرجوا متنكّرين في لباسهم ، مقنّعين وجوههم بحيث لا تعرف

أشخاصهم ولا يميّزهم لبعضهم إلاّ كلمة السّرّ ، وينطلق العمل كلّ
ليلة قبل غروب الشّمس في المدينة وبعد صلاة العشاء في
الغابة ، وللقيلولة وسائر اليوم نظامهما في الحراسة أيضا .

ولمحاكمة الجناة تنظيم خاصّ متكامل لا رجوع فيه إلى جهة
أخرى (52) كما أنّ لهذه الهيئات مجالس تأديب لمن يلاحظ عليه
انحراف، مستقلّة كلّ الاستقلال ، والأحكام تنسحب على كلّ
الأعضاء بمن فيهم الرّئيس . ولمجلس الحراسة هذا وظيفة سامية
في إقرار النّظام إذا وقع خلل في مجلس العزّابة نفسه وهو
أعلى سلطة في المدينة ، فيحاول مجلس الحراسة في البداية
الإصلاح بالحسنى فإن تحقّق الفلاح فذاك المطلوب . وإن لم
يتحقّق فلا بدّ أن يتّفق سبعون من أعضاء هذا المجلس على الأقلّ
على قرار قلب النّظام وهنالك يتحوّل إلى الخطوة العمليّة ،
وتتمثّل في تعيين أعضاء جدد لمجلس العزّابة لتعويض القدامى ،
وفي اللّيلة التّي يريدون تنفيذ العمليّة يطوّقون المسجد
بحراسة مشدّدة ، ثمّ يحضرون العزّابة الجدد فيسلّمون لكلّ واحد
منهم وظيفته ، وذلك كلّه قبل الفجر ، فإذا استقرّ الأمر
و هدأت الأحوال وخضع الأوّلون للحركة فإنّهم يتركون المسجد
ويعودون إلى مزاولة نشاطهم . (53)

---

52) والدّولة الجزائريّة تستعين بهذا النّظام لحفظ الأمن في المنطقة .

53) لم يحدث مثل هذا الوضع قطّ في ما نعرف عن تاريخ وادي مزاب .

لقد تبيّن ممّا ذكر أنّ السّلطة في المجتمع المزابي كانت أوّ
الأمر بين أيدي رؤساء العشائر فكيف تحوّل مركز السّلطة إلى
الهيئة الدّينيّة ؟

الملاحظ أنّه يصعب أن نحدّد تاريخا مضبوطا لهذا التّحوّ
إذ يبدو أنّ الأمر وقع تدريجيّا عبر الزّمن .

فالمعروف تاريخيّا أنّ الشّيخ أبا عبد اللّه محمّد بن بكر ه
الّذي نشر المذهب الإباضي بوادي مزاب بداية من مدينة العطف
في مطلع القرن الخامس/11 ، كما أنّه هو الذي أرسى قواعد
نظام الحلقة على غرار ما عرف من بذورها في جبل نفوسة وفي
حلقات أبي عبيدة في مدينة البصرة ، لكن هذه الحلقات الأولى
كان يغلب عليها الجانب التّربوي التّعليمي وكانت تعقد بعيدا عن
العمران ، وأحيانا في الغيران وفي الأماكن السّرّيّة ، وإن
كانت لا تخلو تماما من الاهتمام بشؤون أخرى (54) .

ويبدو أنّ المسجد لم يستعمل لهذا الغرض إلاّ في النّصف
الأوّل من القرن السّادس/12 (55).

والملاحظ أنّ أبا عمّار عبد الكافي (1174/570) ساهم
مساهمة فعّالة في الإعداد النّهائي لسير حلقة العزّابة ، وخلاصة
القول إنّه بعد مرور زمن يصعب تحديده على المدن

54) الجعبيري : نظام .

55) الحاج سعيد : تاريخ : 29.

الحاليّة الأولى لمزاب تصدّرت أمرها حلقة العزّابة بمفهومها
الشّائع لدينا كسلطة مطلقة قائمة مقام الإمامة العظمى ،
ويطلق عليها الإمامة الصّغرى .

ودون أن أدخل كثيرا في التّفاصيل(56) فإنّ حلقة العزّابة
لها حقّ اختيار أعضائها بدون أدنى مداخلة لمن عداها في ذلك .
يُختار من كلّ عشيرة في المدينة من ينوبها من الرّجال ويُتحرّى
في اختيارهم أعلم وأروع وأصلح من في العشيرة بشرط أن
يكون متخرّجا من دار التّلاميذ (57) . إلاّإذا لم يوجد مثله في
العشيرة فإنّه يختار من (إمصّوردا) أي أصحاب المحاضرلا
سواهم (58) .

و عدد العزّابة من غير الشّيخ اثنا عشر : الإمام ، المؤذّن ،
وثلاثة لتحفيظ القرآن الصّبيان الصّغار في المحاضر ، وخمسة
لغسل الموتى ، ووكيلان على مال المسجد . (59)

56) الجعبيري : نظام .

57) دار التّلاميذ : مؤسسة في المسجد تتمثّل وظيفتها في اعداد
التّلاميذ للقيام بمسؤوليّاتهم التعليميّة و الاجتماعيّة .

58) انظر ما سبق نظام الحراسة . 36

59) و لكلّ واحد من هؤلاء من ينوبه ، و يمكن أن يتوسّع العدد حسب
الضّرورات .

ويتولّى العزّابة الفصل بين الخصوم ، (60) وهم الذين يسهرون على المحافظة على المصالح العامّة وتنظيمها كالأسواق ، والمسالخ ، وسواقي المياه ، والسّدود .

والأمر كلّه يرجع إلى شيخ الحلقة فهو الغوث ، كما أنّ م مهامّه قيادة الجيش وتدبير شؤون الحرب و وسائل الدّفاع ، وك عقد المعاهدات والأحلاف . (61)

هكذا يلاحظ أنّ مهامّ حلقة العزّابة قد تعدّدت فشملت الجوانب الدّينيّة والتّعليميّة والاجتماعيّة والقضائيّة والدّفاعيّ والاقتصاديّة إنّها بحقّ إمامة صغرى إذ لا ينقصها عن الإمام الكبرى إلاّ إقامة الحدود والعمل على إقامة دولة بأتمّ معن الكلمة ، ولذلك تبقى المدن التّابعة لهذه المؤسّسات شبيهة بالدّولة لكنّها ليست دولة لأنّها لم تعمل في يوم من الأيّام عل توسيع نفوذها ، وإنّما تمسّكت بهذه النّظم للحفاظ على كيانها وللمحافظة على عقيدتها ، وتلك سمة جليّة فيما سمّي بالمدينة

60) لم يعرف هذا النظام هيكل قضاء لأنّ شيخ الحلقة هو الذي يتولّ بنفسه فصل التّوازل ، لكنّ الاستعمارالفرنسي فرض على مزاب نظا القضاء فعيّن المزابيّون من بينهم من يقوم بهذه المهمّة في وادي مزاب و في بعض مدن البلاد الجزائريّة حيث يتعايش المزابيّون . الحاج سعيد تاريخ : 118 .

61) الحاج سعيد : تاريخ : 28 . 33 .

الدّولة تجلّت في وادي مزاب بكلّ وضوح . بقي أن نتساءل عن الرّادع الذي يردع الأمّة ويجعلها تمتثل للأوامر ، إنّه نظام الولاية والبراءة (62) ، فمن كان في ولاية المسلمين فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم ، أمّا من أعلنت الهيئة عن طريق شيخها البراءة منه فيعتزله أهل المدينة اعتزالا تامّا ، فلا مساس حتّى يتوب إلى الله تعالى وإلى المسلمين .

أمّا إذا تمرّدت العامّة (63) على أمر من أوامر الحلقة فإنّ العزّابة يعلنون الإضراب فيلازمون المسجد دون أن يقوموا بأعمالهم المألوفة ، ويمتنعون من دخول الأسواق والبلد حتّى يستجيب النّاس لحكمهم (64) .

فواضح إذن أنّ نظام العزّابة بعد قيامه لم يقض على نظام العشائر الّذي كان يدبّر شؤون المدينة ، بل كانت الحلقة تتّخذ رؤساء العشائر عونا لها ، لتنفيذ قرارتها في مستوى كلّ عشيرة ، وقد تستشيرهم في بعض القضايا الاجتماعيّة المستجدّة ، لكنّه لا يحقّ للعامّة أن تتدخّل في أمور الحلقة الخاصّة بها .

62) الجعبيري : نظام : 98 . 113 .

63) العامّة : مصطلح يطلق على كلّ من ليس في حلقة العزّابة ، و أهل الحلقة يسمّون الطلبة . الجعبيري : نظام : ص 69 و ص 116 .

64) نفسه : 112 .

كما تستعين الحلقة بالنّسبة إلى القضايا الخاصّة بالمرا
بهيئة دينيّة نسويّة تعرف بجماعة الغسّالات "تمسردين".

ونرجّح أنّ هذه الهيئة كانت مرتبطة في نشأتها بنشا
الحلقة نفسها ، وإن لم يرد ذكرها بوضوح على ما يبدو إلاّ ف
القرن التّاسع/15 ، ومهمّة أعضاء هذا المجلس القيام بغسل
الأموات من النّساء والصّبيان والصّغار ، وتحقيق حكم
البلوغ للبنات ، وشؤون الولادة والحمل ، وبيان أحكام الحيض
والنّفاس ، ومحاربة البدع والإسراف ، والإشراف على الأعراس
والمآتم في جانب النّساء ، وإعلان البراءة من المتمرّدات في
مجلس الذّكر الأسبوعي .

هذا على مستوى كلّ مدينة أمّا على مستوى وادي مزاب
فإنّ المدن تشكّل اتّحادا يسهر على شؤونه مجلس أعلى يض
ممثّلين عن كافّة سكّان هذه المدن . منهم علماء ، ومنهم أعضاء في
حلقة العزّابة ومنهم أعيان في تلك القرى ، كما يلاحظ ذلك جليّا
في القرارات التّي تتّخذ فيه بإسم الطّلبة والعوامّ .

ويذكر الشّيخ أبو اليقضان أنّ "جلسات هذا الاتّحاد دوريّة
تنعقد في أوقات تختلف حسب مقتضيات الحال في ما بين 15
يوما وما بين ثلاثة أشهر في أماكن ثلاثة :
روضة أبي مهدي عيسى بن إسماعيل (1564/971) بمليكة ،
وروضة أبي عبد الرّحمان الكرتي (ق12/6) بمليكة ، روضة عمّ
سعيد الجربي (ق16/10) بغرداية .

وينسب المجلس لكلّ مكان ينعقد فيه، وهو مجلس واحد
غيرمتعدّد ، له نظامه الخاصّ . أقدم قراراته يرجع إلى أوّل رجب
1406/807 وآخرها 1903/1326 . ويبدو أنّ هذا المجلس قد
مرّ بأطوار هي : الطّور الإنشائي ، والطّور التّنفيذي ، والطّور
القضائي حيث صار محكمة عليا لاستئناف الأحكام
وتعقيبها " (65) .

فغير خفيّ ممّا ذكر أنّ الشّيخ عميّ سعيد ليس مؤسّس هذه
الهيئة بدليل أنّ هناك قرارات سبقت عهده .

إنّ هذا المجلس الأعلى تشريعي ، فهو الّذي يضع القوانين
والأحكام في الجرائم والجنايات والمعاملات ، كما يضع اللّوائح
الدّاخليّة الّتي تخصّ حياة البلاد العامّة ، مثل تجويز السكّة
ورفض أخرى ، وتحديد المكاييل والموازين .

و رئيس هذا المجلس يسمّى شيخ وادي مزاب ، ينتخبه
عزّابة القرى من بينهم ، ويتمّ تتويجه في اجتماع عام للعزّابة
يلبسونه عمامة بيضاء معهودة ، ويدعون الله بدعاء معلوم .

وشيخ الوادي هو الّذي يتولّى قيادة الأمّة فيما إذا نزل
بساحتها عدوّ ، ويعتبر في هذه الحال إمام دفاع .

وهو الّذي يعلن الاتّفاقات الّتي صدرت عن المجلس ، وليس
له أن يصدر أمرا إلى جميع سكّان الوادي دون الرّجوع إلى

---

65) ن . م : 90 - 91

انعقاد المجلس واتّخاذ القرار فيه . (66)

ورغم ما يلاحظ من تماسك بين نظام العشائر ونظام الحلقة

فإنّ هذا المحيط المزابي لم يخل من الفتن الدّاخليّة الّتي تعوق

في كثير من الأحيان هذه المدن أو بعضا منها من الازدهار في

بعض مراحل تاريخها .

ويعتبر يوسف بن بكير الحاج سعيد أنّ أسباب هذه الفتن

عديدة ويحدّد أهمّها في ما يلي :

- الانحطاط الثّقافي عموما .

- غياب سلطة ماديّة قاهرة كالجيش النّظامي و الشّرطة .

- العصبيّة القبليّة الّتي يغذّيها مبدأ التّناصر وفكر

الدّفاع عن الشّرف . فالفرد الواحد قد يجرّ عشيرته أو قبيلته

إلى صراع يعمّ البلدة وربّما كامل المنطقة . هذه الصّراعات لم

تتعدّ يوما هذا الإطار ولم تتطوّر إلى حرب بين قريتين يقصد

منها استيلاء إحداهما على الأخرى .

- ازدواجيّة الصّفّ وهو أهمّها : إنّ العشائر المزابيّة كانت

تشكّل كتلتين : الصفّ الغربي والصّفّ الشّرقي .

أمّا الصّفّ الغربي فيضمّ أولاد عمّي عيسى والعفافرة

والمذابيح من سكّان غرداية ، وأولاد موسى وأولاد يدّر من بني

يسقن ، وأولاد عبد الله من سكّان العطف وبنورة ، وكافّة سكّان

66) الحاج سعيد : تاريخ : 50 .

مليكة بما فيهم المالكيّة الّذين أصلهم من متليلي ، وأولاد علاهم ، وآل بالة والعطاطشة من سكّان القرارة .

أمّا الصّفّ الشّرقي فيشمل من غرداية أولاد باسليمان والنّشاشبة وأولاد يونس ، ومن بني يزقن أولاد عنان ، ومن العطف أولاد جلمام ، ومن بنورة أولاد نوح وأولاد إسماعيل ، ومن القرارة أولاد الزّيت ، وكافّة سكّان برّيان . (67)

والجدير بالملاحظة أنّ هناك سببا آخر لم ينتبه إليه الحاج سعيد وهو تعايش قبائل أخرى غير إباضيّة في وادي مزاب مثل المذابيح وبني مرزوق والشّعانبة وغيرهم كثيرا ما تثير بعض الفتن لأسباب عرقيّة ولأسباب مذهبيّة . أمّا وصول العنصر اليهودي من جربة فلم يثر أيّ شغب . (68)

نذكر ثلاثة نماذج من هذه الفتن الدّاخليّة :

أ- وفي سنة 1819/1234 نشبت فتنة في القرارة بين الصّفين دامت ثلاث سنوات ، وانتهت بمعركة الباصور الّتي قتل فيها مئات من الحرازليّة والعطاطشة . وهم بدو استقدمهم القراريون في القرن الثاني عشر/ الثّامن عشر . وقد تدخّل في هذه الفتنة أهل غرداية ومن معهم من مليكة وبنورة والعطف والمذابيح والشّعانبة وجهّزوا محلّة إلى القرارة لينصروا الصفّ

67) نفسه : 71 .

68) نفسه : 74 .

الشّرقي على الغربي وذلك في يوم 10 محرّم 19/1236 أكتوبر 1820 . وفي جمادى الأوّل 1823/1238 التجأ المشارقة إلى برّيان وهدم المغاربة نصف حيّهم وبقي النّصف الآخر فأعطو للعطاطشة وسكنوه كما أعطوا لهم نخيلهم في الواحة .

ب ـ أحيانا يكون سبب الفتنة تافها ومن ذلك أنّ أهل العطف أعيتهم فتنة سببها تسمية بقل من البقول المحلّيّة بأح إسمين تَامِيسَا أو تَاحْسَايْتْ ، حتّى أقاموا سورا ينصف البلد شطرين . وهذا السّور وقع الاتّفاق بين الطّرفين على إزالته في نهاية القرن الثاني عشر/ الثّامن عشر م .

ج ـ وفي سنة 1811/1226 وقع سفك الدّماء بين أولا موسى وأولاد عنان في بني يسقن تسبّب فيه الدّبادبة الذين كانوا يسكنون واحة بني يسقن فسعوا بالنّميمة بين أهلها (69).

لكن مهما ذكر عن هذه الفتن الدّاخليّة وماتحدثه من شروخ في المجتمع فإنّها لم تصل إلى تفتيت البيئة المزابيّة عبر الزّمن بل ظلّت هذه المدن الدّولة صامدة أمام كلّ من يريد أن يستولي عليها من الخارج ونذكر من ذلك ما يلي :

أ ـ في أوائل القرن الثّاني عشر/18 أغار عدوّ من الغرب يسمّى ابن دومة بجيشه ، فأسندت إلى الشّيخ دحمان إمامة الدّفاع فقاتله بنو مزاب وانتصروا عليه .

69) نفسه : 75 . 76 .

ب ـ محاولة صالح باي قسنطينة ضمّ مزاب إلى ولايته عام 1792/1206 ورفض المزابيّين لهذه المحاولة وفلاحهم في ذلك .

ج ـ رفض تسليم قرى مزاب للأمير عبد القادر عام 1253/ 1838: إنّ المزابيّين رغم عدم تردّدهم في مساعدة الأمير عبد القادر ضدّ المحتلّين الفرنسيّين رفضوا الخضوع لحكمه . (70)

وواضح من هذه الأمثلة أنّ مثل هذه الضّربات لم تزد المزابيّين إلاّ تلاحما مكنهم من حسن التّصرّف حتّى في أسوء الأحوال ذاك أنّ الاستعمار الفرنسي نفسه رغم ضراوته اصطلح معهم على عدم التّدخّل في شؤونهم الرّوحيّة خاصة ، ممّا مكّنهم من المحافظة على هوّيتهم الإسلاميّة حفاظا كاملا .

وقبل أن نتحوّل إلى الحديث عن الحياة الفكريّة في وادي مزاب لا بدّ من أن نقول كلمة عن المرأة وهي نصف المجتمع وعن اللّغة لنبرز قيمتها في الحفاظ على الذّاتيّة المزابيّة .

لقد أولى الباحثون اهتماما كبيرا بوضع المرأة المزابيّة (71) وملخّص ما وصلوا إليه يتمثّل في أنّ المرأة المزابيّة كأختها في المحيط الإسلامي المحافظ هي أساس المحافظ على سلامة النّسل ، فحفاظا على الأعراض لم تكن هذه المرأة

70) نفسه : 65 . 71 .

71) A. M.Goichon: La vie féminine au Mzab t1.1927. t2.1931

لتخرج من بيتها إلاّ محجّبة (72) ، أمّا في بيتها فليس لها إلاّ أ
تعيش في كنف زوجها وأبنائها وفي محيط محارمها .

ولم يمنعها تحجّبها هذا من أن تنال نصيبها من الثّقاف
الإسلاميّة بإشراف هيئة النّساء التّابعة لحلقة العزّابة لتغرس
في أولادها الأخلاق الإسلاميّة العالية ، كما لم يمنعها هذ
التّحجّب أيضا من أن تشارك مشاركة فعّالة في مساعدة زوج
بما توفّره من منسوجاتها لحاجيّات الأسرة ، وقد يزيد الإنتا
فيوفّر دخلا لا يستهان به .

وللمرأة صلة وثيقة بالحياة العامّة ، ذلك لأنّها تحضر جمي
الدّروس العامّة التي تلقى بالجامع ، وهناك تسمع جميع
القرارات التّي تهمّ المدينة حين يعرضها شيخ الحلقة ، فتشارل
مثلا بمالها الخاصّ في المصالح العامّة للمدينة ، هذا إلى جانب
ما يخصصّ من دروس للنّساء ، منها ما يتولاّه أحد المشائخ م
وراء حجاب ، ومنها ما يتولاّه بعض النّساء أنفسهنّ ، وفي هذ
المجالس للمرأة أن تناقش ما تريد من المسائل ، كما أنّ للنّسا
حلقة أسبوعيّة للذّكر بإشراف هيئة النّساء في كلّ مدينة ، كما
أنّه للمزابيّات جميعا لقاء عامّ في إحدى المدن يعرف بـ " لا إلا
إلاّ الله" يتعرّفن فيه على كلّ مستجدّ مع استحضار أمجاد

72) هذا بالنّسبة إلى المتزوّجة أمّا غير المتزوّجة فعليها أن تكشف
وجهها حتّى يتعرّف على ملامحها من يرغب في الزّواج منها .

الماضي ، وكتب السّير تذكر بإطناب ما كان للمرأة الإباضيّة من
منزلة في محيطها من يوم قيام أسس المذهب في مدينة
البصرة . (73)

كما نلاحظ أيضا إلحاح الدّراسات الحديثة على قضيّة المرأة
المزابيّة والهجرة من الوادي لمرافقة الزّوج حيث يعمل خارج
وادي مزاب معتبرة إيّاها ثغرة في البيئة المزابيّة .

والحقيقة أنّ النّاظر إلى هذه القضيّة في محيطها
الجغرافي والزّماني يجد لها مبرّراتها الموضوعيّة ، والأمر في ما
مضى ليس خاصّا بالمزابيّين ، ذاك أنّ ظروف الهجرة لم تكن
ميسورة كما هو الأمر الآن ، مع الملاحظ أنّ الإلحاح على إبقاء
المرأة في مزاب تجلّى بصورة أوضح خاصّة زمن الاستعمار
الفرنسي خشية على الأمّة من الذّوبان . (74)

وقد عرفنا من المزابيّين من بمقت قرارات العزّابة في شأن
عدم تهجير المرأة ، ويرى أنّها أكبر عوامل تفكيك الأسرة المزابيّة
وحرمانها من إشراف الأب الدّائم ومن الحصانة الفطرية ممّا
يؤدّي بالرّجال إلى الفساد أو إلى الزّواج من غير المزابيّات ،
وعرفنا منهم من يرى أنّ تلك القرارات هي الدّرع الواقي

73) الشّمّاخي : كتاب السّير . القاهرة . 1301 ص 82 . 83 مثلا .

74) وقد ترجم Marcy: op.cit2 :224 . 227 اتّفاقا من هذه الاتّفاقات
وقد تمّ سنة 1928 .

للبيئة المزابيّة من التّشرذم ، ذاك أنّ الرّجل مهما انحرف يرجع
لا محالة ، بينماإذا نشأ الأولاد في غير محيطهم الأصلي فل
سبيل بعد ذلك إلى ربطهم به .

ومهما يكن تباين المواقف تبقى المرأة المزابيّة أساسا م
أسس الحفاظ على الذّاتيّة المزابيّة التّي تجعل المدينة المزابيّ
فعلا تنتمي إلى ما أصطلح عليه بالمدينة الدّولة .

ولا حرج على المزابيّين اليوم وقد عمروا التّلّ في بلا
الجزائر بنسائهم وأطفالهم ، وأقرّوا مسلكا آخر للحفاظ عل
كيانهم ، تمثّل في توفير المحيط المناسب في كلّ المدن التّ
يحلّون بها من مسجد ومدرسة وحياة جماعيّة ، مع تنظي
الرّحلة إلى الوادي كلّما سنحت الفرصة لذلك ، وبهذا تبيّن خل
تصوّر القدامى ، ذاك أنّ لكلّ زمان حلولا تناسبه ، فالمرأ
المزابيّة مزابيّة تحافظ على كيانها وكيان جماعتها حيثما حلّت
إن كانت واعية بهذا الكيان . هذا عن المرأة بإجمال أمّا عن اللغ
المزابيّة فهي أمازيغيّة . أصلها زناتيّة وهي قريبة جدّا من
الشّاويّة والتّفوسيّة . (75)

من خصائصها الابتداء بالسّاكن كقولهم " ثْمَارْتْ " للحية
ومن خصائصها اجتماع ساكنين كما في المثال السّابق ولها

75) الشّاوية : البربر الذين يقطنون في محيط عين البيضاء في بلا
الجزائر . والتّفوسيّة : نسبة إلى جبل نفوسة جنوب طرابلس بالبلاد اللّيبيّة

خصائص أخرى لا نرى فائدة في تعدادها هنا .

والملاحظ أنّ اللّغة المزابيّة تأثّرت كثيرا بلغة القرآن الكريم . لكنّ الألفاظ المقتبسة منها لم تبق على هيئتها الأولى ، بل صاغها المزابيّون على قواعد لغتهم ، وركّبوها تركيبا جديدا ، فانسجمت مع المزابيّة ، وصارت جزءا منها ، لا ينتبه إليها إلاّ من عرف أصلها . فكلمة " يَتْزَلّ " معناها يصلّي .

واللّغة المزابيّة غنيّة بالأمثال ، وللمزابيّين قصائد شعريّة يتغنّون بها في المناسبات .

والأساس أنّها لغة التّخاطب اليوميّة في كلّ المحيط المزابي ، وحيثما تواجد مزابيّان فالتّخاطب بغيرها يعتبر مخلاّ بالكيان عند أغلب المزابيّين ، فهم ما يزالون يطوّرونها ويعتنون بها غاية الاعتناء ، بل إذا أحسّوا أنّ هناك من بدأ يدرك معانيها من غيرهم يصطلحون على تغيير المقاصد بحيث يتصوّر المستمع أنّه يفهم وهو في الحقيقة لا يفهم شيئا ، ولزيادة هذه اللّغة من التّمكّن تجد أنّ كلّ الدّروس في المساجد وكلّ القرارات تبلّغ بالمزابيّة ، وحتّى النصوص الدّينيّة من قرآن وسنّة توضّح دائما بهذه اللّغة . كلّ هذا شعور من المزابي أنّ اللّغة المزابيّة جزء لا يتجزّأ من كيانه في مدينته المزابيّة وخارجها .

وبهذا ندرك أنّ اللّغة المزابيّة من الدّعائم الأساسيّة للمدينة

الدّولة المزابيّة (76).

ونرى من المفيد قبل أن نختم الحديث عن الحيا
الاجتماعيّة في وادي مزاب أن نذكر عاملا آخر من عوامل
التّرابط ألا وهو ما يقام من مناسبات في كلّ مدينة إلى جانب
المناسبات الدّينيّة المجمع عليها ، مثل عيد الفطر وعيد
الأضحى . (77)

فمن ذلك في عدد من جمعات السّنة يجتمع الطّلبة ف
إحدى المقابر ، يفرّقون قراءة القرآن على أربعة مجالس : مجلس
البقرة إلى الكهف ، ومجلس مريم إلى سورة الرّحمان ، ومجلس
سورة الرّحمان إلى الملك ، ومجلس الملك إلى الخاتمة . وبعد
العصر يجتمعون لقراءة القرآن ثمّ تكون الختمة والدّعاء م
جميع أفراد حلقة العزّابة . ويحضر تجمّع العشيّة العامّة م
النّاس . ويقع توزيع الصّدقات صباحا من تمر وخبز وغيرهما.

---

76) ليس معنى هذا أنّ المزابيّين أهملوا اللّغة العربيّة بل حافظ
عليها غاية المحافظة. بحفظهم القرآن الكريم فلغته لغة العلوم الشّرعيّة ، و
نبغ من المزابيّين فقهاء وأدباء بل كان هؤلاء أحسن مدد للبلاد الجزائر
قاطبة عندما استقلّت واحتاجت إلى أطر يحذقون لغة الضّاد ، ذاك أنّ بق
الجزائرين غلبت عليهم اللّغة الفرنسيّة (انظر الحياة الفكريّة في ما يلي) .

77) لكلّ مدينة مصلّى خارج المدينة تخرج الأمّة كلّها لأداء صلاة العيد
رجالا ونساء وأطفالا في زيّ موّحد .

وبعد الختام عشيّة فإنّ الطّلبة والعامّة يحلقون لأكل الطّعام
ويفرّقون اللّحم على الطّلبة .

ومن ذلك في شهر مارس من كلّ سنة تنظّم في بلاد مزاب
كلّها زيارة الأماكن التّاريخيّة . وبعد الزّيارة والاتّعاظ يوزّع
الطّعام ، ثمّ تجتمع الأمّة عشيّة لختم القرآن والدّعاء إلى الله أن
يسقي البلاد ويحفظها .

ومن ذلك الاحتفال المنظّم لتوديع الحجيج واستقبالهم
(78) ، ونرى من المفيد أن نذكر بأنّ المزابيّين يلتزمون بزيّ
موحّد في محيطهم المزابي يشترطون فيه البياض في جميع
مساجدهم ، وبهذا الزّيّ تستطيع أن تميّز الطّلبة وهم أعضاء
الحلقة ومركز القيادة وبين بقيّة أفراد الأمّة الّذين يطلق عليهم
العوامّ ، وفي هذا الالتزام مزيد من الشّعور بالذّاتيّة خاصّة
خارج وادي مزاب وفي الوادي بحيث تشعر أنّك في مدينة تناغم
أهلها وترابطوا كأنّهم طابور جيش واحد . وهذا يتجاوز حتّى لما
عرف بالمدينة الدّولة .

---

78) الحاج سعيد : تاريخ : 56 .

المحور الثالث

الحياة الفكرية في

وادي مزاب

لا أراني مضطرّا بأن أتوسّع في بسط الحياة الفكريّة في وادي مزاب رغم أنّه هو العامل الأساسيّ في مكوّنات المدينة المزابيّة ، ذاك أنّني أخشى أن يتحوّل ذلك إلى عرض مطوّل عن الفكر الإباضي (79) وإنّما سأكتفي بذكر بعض الخصائص التي تثبت أنّ هذا العامل بمثابة السّدى في نسيج المجتمع المزابي بينما تكون العوامل الأخرى كلّها مجتمعة بمثابة اللّحمة في هذا النّسيج .

لقد أراد الإباضيّة في أواخر القرن الرّابع /10 بشمال إفريقيا أن يجعلوا من وادي مزاب محطّة جديدة تتشوّف للمستقبل مع التّجذّر في الأصالة ، ذاك أنّ هذه المرحلة كانت حرجة بحقّ لأنّها مرحلة تحوّل من مسلك الظّهور إلى مسلك الكتمان .

وأوّل من دعا إلى هذا التّحوّل بوضوح الشّيخ فصيل ابن أبي مسور(11/5) من جزيرة جربة فأمر تلميذه أبا عبد الله محمّد بن بكر أن يرسي قواعد الحلقة الّتي عرفت فيما بعد بالسّيرة المسوريّة البكريّة ، وقد عرفنا من قبل أنّ هذا الرّجل نفسه رشّحه أهل أربغ لتأسيس أوّل قرى وادي مزاب و لتأليف أهلها و هم معتزلة .

(79) cf : Ennami : studies op. cité

وبهذا يكون الشّيخ أبو عبد الله قد غرس كلّ تراث الإباضيّة السّابق في محيط جديد ليؤدّي هذا الغرس ثماره بعد حين ، وفعلا قد تحقّق حدس هؤلاء المشايخ .

فلا غرابة أن نجد حينئذ أنّ المؤرّخ المزابي يوسف بن بكير الحاج سعيد يقول :" إذا ألقينا نظرة عامّة على القرون السّابقة لهذه الفترة من تاريخ مزاب - يقصد من نهاية القرن الثّامن/14 إلى منتصف القرن الثّالث عشر/19- وجدنا أنّ بني مزاب اكتفوا طوال هذه القرون بالاستهلاك الثّقافي - يعني من بداية ق 11/5 إلى نهاية ق 14/8- فهم كانوا معتمدين كلّيّا على كتب الإباضيّة من وارجلان وجربة وجبل نفوسة وغيرها من مواطن الإباضيّة ، وكلّما شعروا بالفراغ الثّقافي طلبوا من إخوانهم أن يمدّوهم بأحد مشائخهم ، سرعان ما ينطفئ نوره .

والجديد في هذه الفترة اعتماد بني مزاب على أنفسهم وانتقالهم من موقف المستهلك إلى موقف المنتج في ميادين الثّقافة ، فهناك عدد منهم تركوا لنا تراثا عظيما من الإنجازات سواء تعلّق الأمر بما ألفوا أو بما أصلحوا من الميادين الاجتماعيّة . " (80)

و سأكتفي بذكر سبعة من أعلام مزاب ممّن كان لهم الأثر البالغ في هذه المجتمع وهم : با عبد الرّحمان الكرتي الزّناتي

80) الحاج سعيد : تاريخ 77 .

(ق12/6) . عمّي سعيد الجربي (16/10) . أبو مهدي عيسى ابن إسماعيل (1564/971) . عبد العزيز الثّميني (1808/1223) . حمّو بن باحمد باكلي (1884/1301) . قطب الأئمّة امحمّد بن يوسف اطفيّش (1914/1332).إبراهيم بيّوض(1981/1401) .

هؤلاء الأعلام وغيرهم ممّن لم نذكر مكّنوا كلّ مدينة من مدن مزاب من أن يكون لها كيان ذاتيّ ، كما ربطوا بين المدن المزابيّة رباطا إيمانيّا مقدّسا جعل منها جميعا مدينة دولة بحقّ تحافظ على كيانها وتدافع عنه دون أن تمسّ كيان الآخرين بسوء ودون أن تتوسّع على حسابه ، وذلك في تناغم داخلي واضح وفي حرص دقيق على حسن التّصرّف مع الدّولة التّركيّة عندما استقرّت ببلاد الجزائر ومع الاستعمار الفرنسي ، ثمّ زمن الاستقلال .

شعر هؤلاء العلماء جميعا ومن معهم من المزابيّين أنّهم أقلّية في أكثريّة ، وأنّهم على مسلك الكتمان ، فدفعهم ذلك إلى الاستماتة بحكمة بالغة من أجل المحافظة على الكيان ، فجعلوا أسس المذهب قاعدة حياتهم تحت مظلّة الإسلام الحنيف فالتزموا بإباضيّتهم عقيدة وفقها وسلوكا ، وسأكتفي بذكر أبرز الأسس العقديّة والفقهيّة والسّلوكيّة التي تجعل المتمسّك بها يرتبط بجماعته غاية الارتباط دون أن يسيء إلى الغير . فالعقيدة عند الإباضيّة إزاء قيامها على تنزيه البارئ على الإطلاق في الإلاهيّات والقول بأن حجّة الله على النّاس الرّسل في الرّساليّات فهي تقوم على

الكسب في الإنسانيّات وتحمّل المسلم مسؤوليّته كاملة ذاك أنّه
تعتبر أنّ الإيمان عقيدة وقول وعمل ، وأنّ من يموت على كبيرة
دون أن يتوب منها يخلّد في النّار .

أمّا الفقه فقد قام بناء على هذه الأسس العقديّة على ما
يعرف بالأحوط في اتّخاذ المواقف دون الخروج عن دائرة
الكتاب الكريم والسّنّة الشّريفة الصّحيحة والاجتهاد بجميع
فروعه .

أمّا السّلوك النّابع عن هذا الفقه فإنّه يسوسه مبدأ الولاية
والبراءة الشّخصيّة ، فكلّ من يجاهر بمعصيته مخطئ في حقّ
نفسه وفي حقّ الأمّة وعلى الأمّة جميعا أن تتآزر تحت لواء
قيادتها ، في الظّهور الإمام العادل ، وفي الكتمان نظام الحلقة
الذي يعتبر إمامة صغرى لردعه عن ضلاله ، وذلك عن طريق
السّعي إلى إصلاحه فإن أصرّ وتكبّر فإعلان البراءة على الطّريقة
الّتي طبّقها الرّسول عليه السّلام مع الثّلاثة الّذين خلّفوا في
غزوة تبوك . (81)

ومن أعلنت عليه البراءة يقاطعه جميع المزابيّين أينما
كانوا بما فيهم زوجته وأبناؤه سوى أنّ زوجته تكتفي بأن تقدّم
له طعامه دون أن تكلّمه .

ولا يجب أن نتصوّر أنّ هذه العقوبة الزّاجرة هي الّتي

---

81) انظر سورة التّوبة الآية 117 - 118.

شدّت المزابيّين إلى بعضهم البعض ، بل هي يقينا لا يلجأ إليها
إلا في آخر المطاف كما لا يلجأ إلى بتر العضو عند المريض إلا إذا
استأصل الدّاء ويئس الأطبّاء من العلاج عن طريق الدّواء .

بل شدّت المزابيّين إلى بعضهم البعض عوامل عديدة عقديّة
وعمرانيّة ولغويّة واجتماعيّة وشعورهم يقينا أنّهم لبنات
متماسكة في بنيان إسلاميّ عتيد يشدّ بعضه بعضا ، وقد ذاقوا
حلاوة التّنعّم وسط هذا الكيان ، ذلك أنّ النّاشئ منهم تكتنفه
الرّعاية من سنيّه الأولى ، إذ يرسله أبوه إلى المحضرة كلّ يوم
قبل أذان صلاة الفجر فيتناغم مع أترابه ذهابا وإيّابا وفي
المحضرة مع شيوخ محنّكين هم من أعضاء الحلقة
المتمكّنين في فنّ التّربية وتأصيل الكيان ، ومن هناك تبدأ
الرّحلة لتستمرّ في كلّ مراحل العمر لا تسلّمه مؤسّسة حتّى
تتلقّاه مؤسّسة أخرى ، وذاك في جميع ميادين الحياة ، وحيثما
حلّ في مزاب وفي غير مزاب حيث وجدت مجموعة
مزابيّة (82) . ذاك هو في رأينا العامل الأساسي التّلقائي الّذي

---

82) الاعتماد على التّعليم الحرّ إلى جانب التّعليم الرّسمي . ومؤسّسات
التّعليم الحرّ تشمل جميع المستويات و التّعليم فيها مجاني إذ تتولّى
نفقاتها جمعيّات مخصّصة لذلك . وقد صبغت اليوم بصبغة عصريّة . والمزابي
يرتاد هذه المؤسّسات قبل أوقات الدّراسة وبعدها فيكرع من فنون العلم
التّقليدي منها و العصري .

يكاد يكون فطريّا والّذي يجعل المزابي يشعر بأنّ وجوده
يستقيم إلاّ بجماعته ، مثل السّمكة الّتي لا يكون لها كيان خار
البحر ، فيسعى تلقائيّا إلى المشاركة الفعّالة في بناء ذلك
الكيان من الموقع الّذي هو فيه كبر شأنه أو صغر ، وهو على
يقين أنّه أوّل المستفيدين من تلك المشاركة ، وبهذا كانت مزاب
وما تزال مدينة دولة بحقّ ، ونكتفي بهذا القدر من الملاحظات
لأنّ البحث في هذا الصّدد يطول لنقول كلمة عن الحياة
الاقتصاديّة والسّياسيّة في مزاب قبل أن نختم .

المحور الرّابع

الحياة الإقتصاديّة في وادي مزاب

يقول أحمد توفيق المدني في تاريخه عن المزابيّين : " وبلاد مزاب الّتي عاصمتها غرداية من أغرب بلاد الدّنيا وأعجبها ، سكنها قوم من أكثر أمم الأرض جدّا وعملا ونشاطا، وحسبك أنّهم استوطنوا تلك الأرض قاعا صفصافا ، فمازالوا بها عملا وجدّا حتّى أوجدوا بها حضارة ومدنا ... وكوّنوا بتلك البلاد واحات بديعة وحدائق وبساتين في وسط أرض جرداء موحشة " (83) . وفعلا حالما انطلقت دعوة أبي عبد اللّه في وادي مزاب تحوّل أهله تدريجيّا مع الوافدين إليهم من مجتمع بدو تقوم حياته على رعاية الأغنام وعلى الزّراعة الموسميّة وعلى نسج الخيام والألبسة من الوبر والصّوف إلى مجتمع متحضّر مستقرّ تقوم حياته على الفلاحة ، وقد استفادوا كلّ الاستفادة من خبرات القادمين من بلاد مختلفة في المجالات المختلفة لوسائل الحياة ولا سيّما في مجال الزّراعة الثّابتة .

وهكذا وصلت النّخلة من وادي أريغ وسدراتة ،

---

83) نقلا عن مجلّة الحياة عدد 1 ص 169 ولزيادة التّوسّع انظر

Jean Moriaz : La vie économique du Mzab . B . L . S . n ; 39 sep 1960 . P 268 - 272 .

واستطاع المزابيّون أن ينشئوا واحاتهم الاصطناعيّ
على وادي مزاب و على روافده ، واستعانوا على قسر
الطّبيعة بعقيدتهم المتينة ، وسلوكهم المستقيم
و صبرهم على شظف العيش ، و كدّهم المستمرّ
وتقديس العمل اليدويّ ... (84).

فقد كانوا ينهجون نظام التّقشّف في حياتهم اليوميّة
ويطبّقون الاكتفاء الذّاتي وهذا أساسيّ بالنّسبة إلى المدين
الدّولة ـ وظلّت النّخلة محور اقتصادهم ، منها يأكلون
وبعناصرها يتّخذون سقوف بيوتهم ، ويصنعون أثاثه
و أوانيهم ، وفي ظلالها يستريحون ، وتحتها يزرعون بعض
البقول والفواكه .

لكن من أين الماء؟ولا أمطار ، إنّها الآبار ، لقد انكبّ هؤلا
لإحياء واديهم على حفر الآبار بعزيمتهم الصّادقة وصبرهم
الدّؤوب ، فحفروا نحو ثلاثة آلاف بئر ، يتجاوز عمق الكثير
منها ستّين مترا ، وأحدثوا حولها حدائق النّخيل يتجاوز عدده

84) يقول Gouvion في كتابه : Monographie du Mzab . 225 :
في المجتمع المزابي ، لا يقتصر العمل اليدوي على الفقراء و الجهّال. كلّ
المزابيّين وحتّى مشائخهم يتعاطونه ويشرّفونه " عن الحاج سعيد : تاريخ 27
و الملاحظ أنّ كلّ أعضاء الحلقة بمن فيهم الشّيخ لا يحصلون على راتب
بل عملهم الاجتماعي تطوّعي و يرتزقون بكدّ يمينهم .

مائتي ألف نخلة .

وإلى جانب الآبار بنوا على سفوح الجبال سواقي
لجمع مياه المطر وتوجيهها إلى الأجنّة ، كما أقاموا
على وادي مزاب و روافده سدودا مختلفة الأهمّيّة ، كما
أقاموا تنظيما محكما لتوزيع المياه بالسّويّة دون أن تذهب
قطرة ماء سدى . (85)

أليس كلّ هذا بكاف لتأصيل الكيان والرّبط بين عناصر
المجتمع ليتمكّن من الحياة ليجعل منه مجتمعا مترابطا يعتمد
على الاكتفاء الذّاتي ، وذلك من الأسس الضّروريّة والدّفاعيّة
لقيام المدينة الدّولة .

لكن هل اكتفى المزابيّون بالفلاحة ؟ طبعا لا ، بل أضافوا
إلى تجارتهم المحلّيّة التّجارة في أطراف البلاد فدرّت على أهلها
أموالا طائلة ، لم تكن سببا في إنشاء مدن وادي مزاب كما
يتصوّر البعض ، وإنّما ساهمت مساهمة فعّالة في تنميتها
اقتصاديّا واجتماعيّا .

وكان أهل غرداية يكثر ذهابهم إلى قسنطينة و سطيف
و غليزان و أهل بني يزقن إلى قسنطينة وقالمة وسوق أهراس
والبليدة ... وهكذا . ومن المزابيّين من كان يقصد تونس وليبيا
ومصر ثمّ فرنسا خاصّة في ما بعد .

85) الحاج سعيد : تاريخ : 37 ـ 42 .

وإلى جانب هذا أهل كلّ مدينة يختصّون في تجارة معيّنة فأهل غرداية وبني يسقن مثلا يختصّون في الأقمشة والألبسة . (86)

والأساس في كلّ هذا ليس مجرّد التّجارة للكسب مهما كان نوع الكسب ، وإنّما كانت المتاجر مدارس لتكوين الأجيال على الرّبح الحلال ومواصلة الاتّصال بالوطن الأمّ .

وكلّما تكوّنت جماعة في مدينة ما تؤسّس دار للجماعة تحت قيادة حكيمة تتحوّل شيئا فشيئا إلى مسجد ومدرسة وإلى خليّة مزابيّة متكاملة تجعل هذا الفرع دائم الاتّصال بالأصل .

وهكذا لم تكن التّجارة مدخلا من مداخل التّشرذم والذّوبان في البيئات الأخرى ، وإنّما كانت عاملا من عوامل الحنين إلى الوطن والعمل على المشاركة في إحيائه .

أمّا الصّناعة فقد كانت بدائيّة تتمثّل في صناعة الصّوف وموادّ البناء وما إلى ذلك ، وانضافت من عهد حديث صناعات آليّة عصريّة ما زالت تحت المحك لكنّها عملت من البداية على إقرار العمّال المغتربين في واديهم .

ولا يفوتنا أن نلاحظ هنا أنّ هذا التّوسّع على الخارج جعل للمزابيّين مقرّات دائمة في جميع أطراف البلاد، من قبل في تونس والآن في فرنسا حيث تعتبر دار المزابيّين نموذجا حيّا

86) نفسه : 45 .

لربط الإنسان بكيانه ، دون أن نغفل عن الأوقاف التي حبّسها المزابيّون في جدّة ومكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة ليتمكّن الحجّاج المزابيّون من أداء مناسكهم على أحسن حال وأيسره (87) .

وهكذا ندرك أنّ الحياة المادّيّة تظافرت مع الحياة الرّوحيّة لإنعاش هذه المدن التي أسّست في صحراء داخل صحراء ، فجعلت منها واحة غنّاء يعتزّ أهلها بالانتماء إليها قلبا وقالبا ، وهذا ما جعل المصنّفين للمدن العالميّة يفلحون في وضعها بقائمة المدن الدّولة .

ومن الاقتصاد إلى الحياة السّياسيّة .

87) نفسه : 115 . 198 . 234 . 235 .

المحور الخامس

الحياة السياسية في وادي مزاب

(اختصار كلي)

عرفنا أنّ رأي إباضيّة المغرب قاطبة استقرّ على دخول مسلك الكتمان في بداية القرن الخامس/11 ، وكان تأسيس وادي مزاب ثمرة من ثمرات ذلك القرار، فلا غرابة أن نجد إذن أنّ المزابيّين لم يفكّروا لا في تكوين دولة ولا في جهاز دولة بالمعنى الصّحيح عبر تاريخهم فلم نعرف في حياتهم أنّهم فكّروا في إقامة إمامة الظّهور ولا في جهاز من أجهزتها كالوزارة بنوعيها وزارة السّيف والقلم وإنّما اكتفوا بنظام الحلقة - وهو إمامة صغرى - ذاك أنّه مكّنهم من الحفاظ على كيانهم الدّاخلي أحسن حفاظ ، ولم يلجأوا إلى إمامة الدّفاع إلاّ في بعض الظّروف القاهرة لردّ عدوان المعتدين ، أمّا إمامة الشّراء فقد حال دون قيامها استقرار الحياة في المحيط . ولقد بيّنا كيف استطاع نظام الحلقة على مستوى كلّ مدينة ، و على مستوى كلّ المدن أن ينظّم جميع شؤون الحياة الرّوحيّة والماديّة أحسن تنظيم ، وهذا ضرب من السّياسة الحكيمة الّتي ضمنت للمزابيّين ما يرجوه كلّ مواطن من السّعادة .

وغاية ما نقول إنّ المزابيّين بقوا يحافظون على كيانهم وذاتيّتهم إلى أن خضعت بلاد الجزائر للحكم العثماني فقبلوا هذا الحكم الإسلامي شكلا ، وإنّما كانت التّبعيّة اسميّة فقط ، فكان استقلالهم مطلقا في بلادهم .

وقد رفضوا الاستعمار الفرنسي بعد ذلك رفضا مطلقا إلى
أن فرضت عليهم الحماية ثمّ نظام الإلحاق العسكري ، وناضلوا في
قضيّة التّجنيد نضالا سياسيّا طويلا ، كما رفضوا رفضا مطلقا
ما اقترحته فرنسا من فصل الجنوب عن الشّمال رغم ما وعدتهم
به من وعود مغرية ، وفي الأخير شاركوا مشاركة فعّالة في
حرب التّحرير الّتي انتهت باستقلال الجزائر وباتت وادي مزاب
تابعة للحكومة المركزيّة بالجزائر العاصمة شكلا ومضمونا عاملة
للنّهوض بالوطن الجزائري في كلّ ميادين الحياة . (88)

88) نفسه : 98 . 113 . 131 . 165 . 172 . 123 .

خـــاتـــمـــة

نصل إلى القول بعد هذا البحث المتواضع بأنّ ما خطّطه الإباضيّة في مطلع القرن 11/5 لمستقبل وادي مزاب تلك المنطقة الّتي فضّلوا الاستقرار فيها جاء موافقا لما اعتبره الباحثون من سمات للمدينة الدّولة .

لقد فهم هؤلاء الإباضيّة أنّه لا سبيل آنذاك إلى إقامة إمامة الظّهور وأدركوا ألاّ سبيل إلى الحفاظ على عقيدتهم إلاّ بالفرار بها في أعماق الصّحراء ، فتدرّجوا عبر خمسة قرون في إقامة عمران مغلق متقشّف لا يلفت الأنظار ببهرجه ، فكانت بذلك مدن وادي مزاب بطابعها المميّز في قدرته الدّفاعيّة بطريقة ميسورة لا تتطلّب جحافل من الجيوش ، فكان لهم ذلك إذ استقام بناؤهم الاجتماعيّ على تعاون دؤوب بين نظام العشائر ونظام الحلقة ، فكان التّلاحم المطلق بين ماهو روحيّ وماهو زمنيّ دون الاحتياج إلى قيام دولة بمفهومها الحقيقي ، ذاك أنّ كلّ ما تحقّقه الدّولة للرّعيّة قائم بذاته بصورة تكاد تكون تلقائيّة إذ قد أدرك الكلّ أنّ نفعهم في التّعايش والانسجام ، ومع ذلك يبقى مبدأ الولاية والبراءة عاملا زاجرا عند الضّرورة إلى ذلك ، كلّ هذا تقوده روح إسلاميّة إباضيّة أرست عبر الزّمن عقيدة راسخة وفقها واسعا حبك جميع وجوه الحياة حسب

تحوّلات الزّمن وملابساتها ومن ذلك أنّ مشائخ الحلقة هم الذين كانوا يفصلون النّوازل فلمّا قالت فرنسا بضرورة وجود هيكل قضائيّ اختاروا لذلك لجنة منهم أدّت الوظيفة على أحسن وجه فاقتنع المستعمر ولم تتضرّر الأمّة وهكذا . وكما سبق أن ذكرنا أنّ العامل الإسلامي بمفهومه الواسع كان بمثابة السدّى ، وكانت العوامل الأخرى بمثابة اللّحمة في تشابكها في تكوين المجتمع المزابيّ ، ولقد كان للعامل الاقتصاديّ أثره البليغ في تأصيل هذا المجتمع ، وكذا العامل السّياسيّ وإن كانا في درجة ثانية بالنّسبة إلى العوامل الأخرى ، وما يزال المزابيّون إلى اليوم يتوارثون هذه العبارة :" حافظ على مذهبك أوّلا ثمّ بعد ذلك تأتي البقيّة طوعا أو كرها " . أليس كلّ هذا الذي رجاه السّلف من وادي مزاب وحقّقه الخلف عبر الزّمن هو الذي جعل الباحثين يعتبرون وادي مزاب مدينة دولة ، وقد حاولنا إبرازه في هذا البحث بقدر الإمكان .

بقي أن نختم بطرح السّؤال التّالي ألا يمكن أن نقول جزيرة جربة دولة وننظر ماذا فعل الإباضيّة في هذه الجزيرة ؟ .



خريطة بلاد الجزائر : تحديد موقع وادي ميزاب . أخذت عن
علي دبّوز : نهضة الجزائر الحديثة : 148 .
أضفنا مدينة باغاي . ر. محمد الطّالبي : الامارة الاغلبية : 263

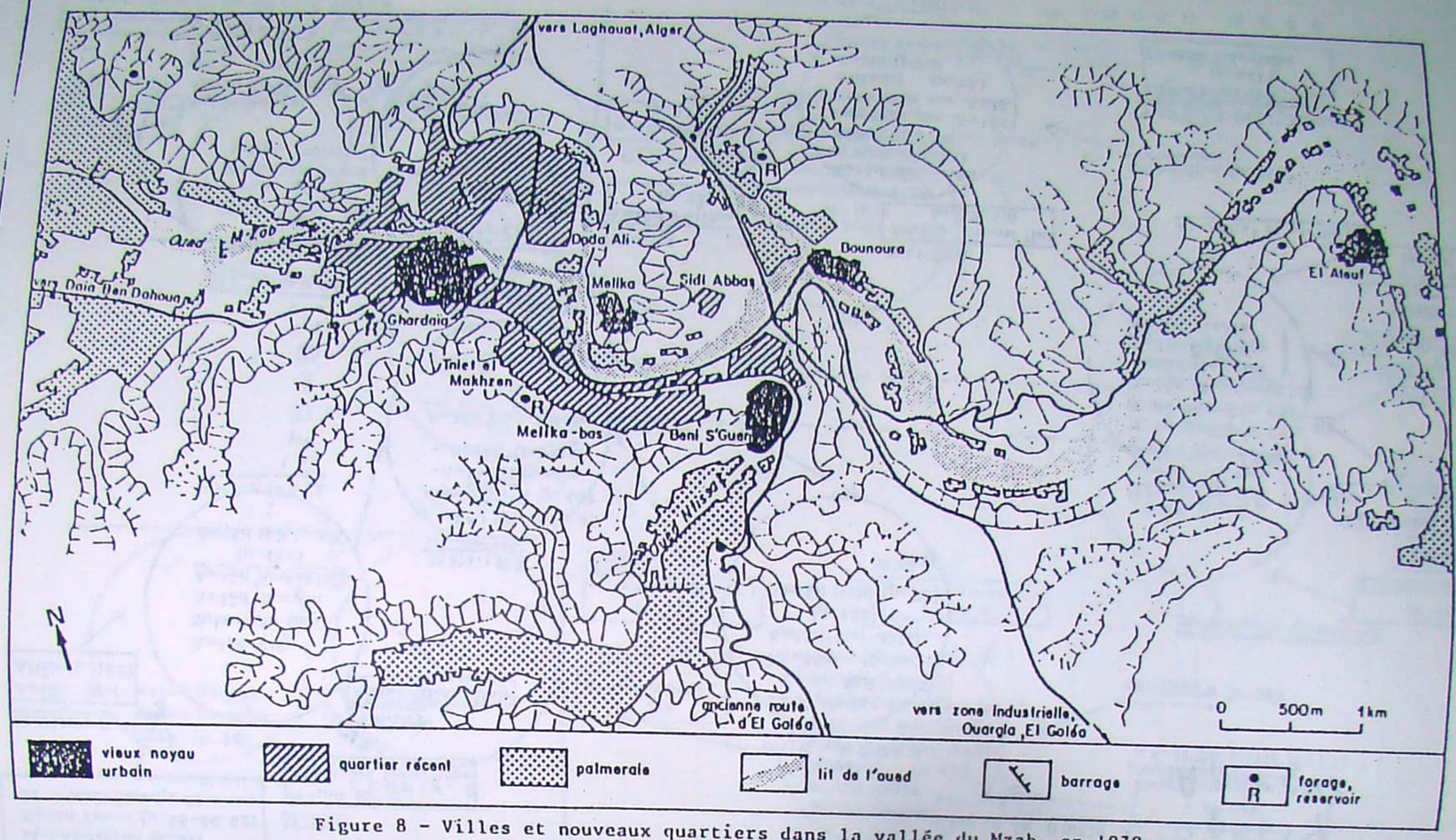


Figure 8 - Villes et nouveaux quartiers dans la vallée du Mzab, en 1979 (d'après documents ERSAURE et Atelier du Mzab).

Tours URBAMA.

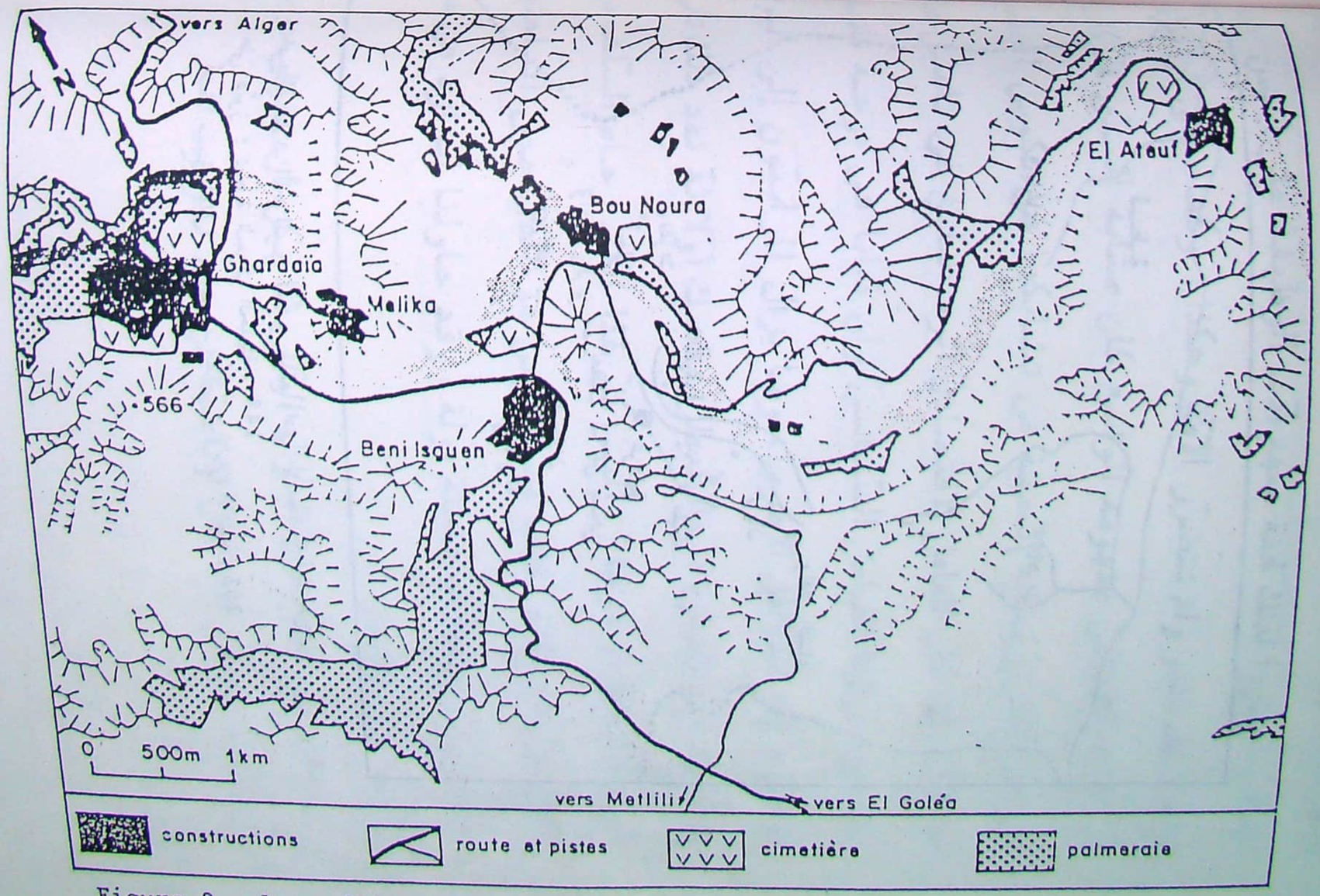


Figure 9 - Les villes de la vallée du Mzab en 1952 (d'après photographie aérienne I.G.N.).

Tours URBAMA

PEUPLEMENT de l'OUED MZAB

d'après la Risâla Cuperly Aperçus

NAFŪSA

Awlâd 'Ammî 'Îsâ al-Lâlûtiyyûn (p. 39)
Awlâd Yûnus (p. 59-60, 62)
Al - Našâšība (p. 63

JERBA

'Ammî Sa'îd .
Eléments Israélites

MAGHREB

Awlâd 'Abd-Allâh (p. 185)

TIHART

Awlâd 'Abd-Allah

Awlâd Yaḥyâ b. Sulaymân (p.42)
Awlâd Sarġîn
Awlâd 'Abd-Allâh (p. 185)
Awlâd Nûḥ (p.59)

GHARDAIA

MELIKA

Awlâd Wirrû (p. 45
Awlâd Nâ'il (p. 43)
-Awlâd Raḥmûn
- Awlâd Ġarfaz
Awlâd 'Abd-Allâh

BOU NOURA

Banû Muthir (p. 41 :
-Awlâd Abû Wakîl
-Awlâd . . 'Inân
Awlâd 'Abd-Allah (p. 185)
Awlâd Baḥt (p. 36)

EL ATEUF

Awlâd 'Abd-Allâh (p.45)
Banû Wirrû (p. 45)
Awlâd Maḥraq (p. 52)
Awlâd al-Ḥalaf
Awlâd Ġalmâm
Awlâd Ḥarfz

JERBA

Awlâd Abî Miswar (p. 40)

NAFŪSA

Awlâd Abî Miswar (p. 40)

TIHART

Awlâd Abî Miswar (p. 40)

Al-Arba' et al-Huggâg

Axlad Bahr (p. 36)

BISKRA

Awlâd Fâtima (?) (p. 33)

CONSTANTINE

Awlâd Mûsâ (?) (p. 33)

NAFŪSA

Awlâd 'Ammî 'Îsâ (p. 33, 33)

Awlâd Sulaymân b. Yaḥyâ (p. 33)
Awlâd 'Abd-Allah: (p. 45 (agrégés aux Awlâd Bakallf et aux Awlâd Wakten) (p. 45)
Awlâd Ḥâlid
Awlâd Yaddir) (p. 41)

BENI ISGUEN

OUARGLA (p. 34)

TAFÎLÂT (SIJILMÂSA)

Awlâd Ismâ'îl b. 'Îsâ - (p. 44)
(Awlâd Maymûn)

Awlâd Bannat
Awlâd Ibrahîm
Ṣâliḥ (p. 36)

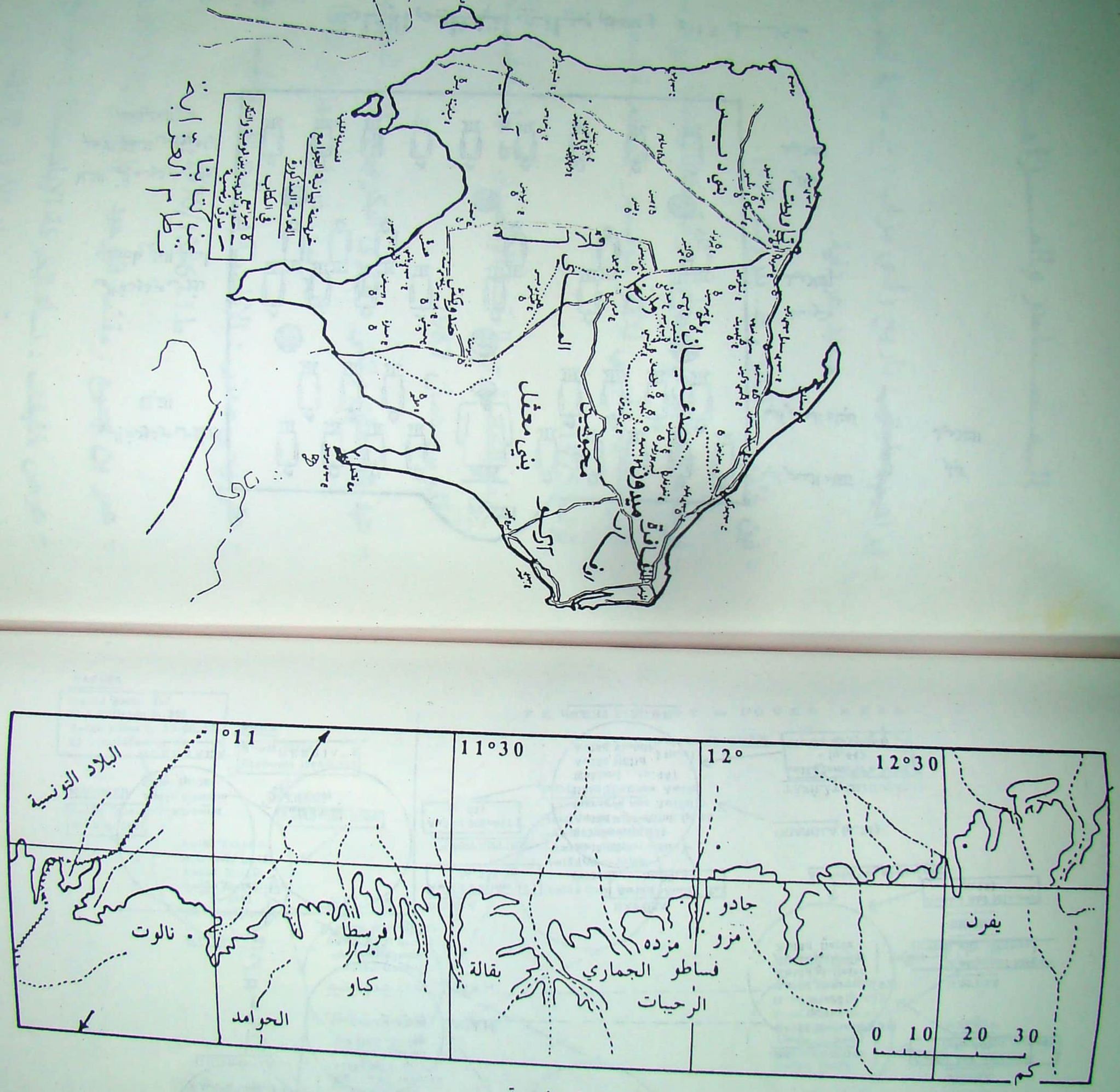
GUERRARA

Awlâd Nûḥ (p. 59)

BERRIANE

PEUPLEMENT de l'OUED MZAB

d'après la Risâla . Cuperly Aperçus



خريطة جبل نفوسة

تحديد موقع جل المدن والقرى التي ذكرت في البحث .
مأخوذة عن جان ديبوا : جبل نفوسة . اللوحات عدد 18 و19 و20.
انظر آخر الكتاب . (وهو دراسة بالفرنسية طبعت سنة 1935) .

Cf. Despois. J.; Le Djebel Nefousa. Larose - Editeurs 1935
Planches 18, 19, 20 à la fin du livre.

- إبراهيم مطياز : تاريخ وادي مزاب : خ. مكتبة الحاج سعيد غرداية.

- ابن خلدون : العبر. ط. بيروت 1971.

- فرحات الجعبيري : نظام العزّابة عند الإباضيّة في جربة. نشر المعهد القومي للآثار بتونس. المطبعة العصرية تونس1975.

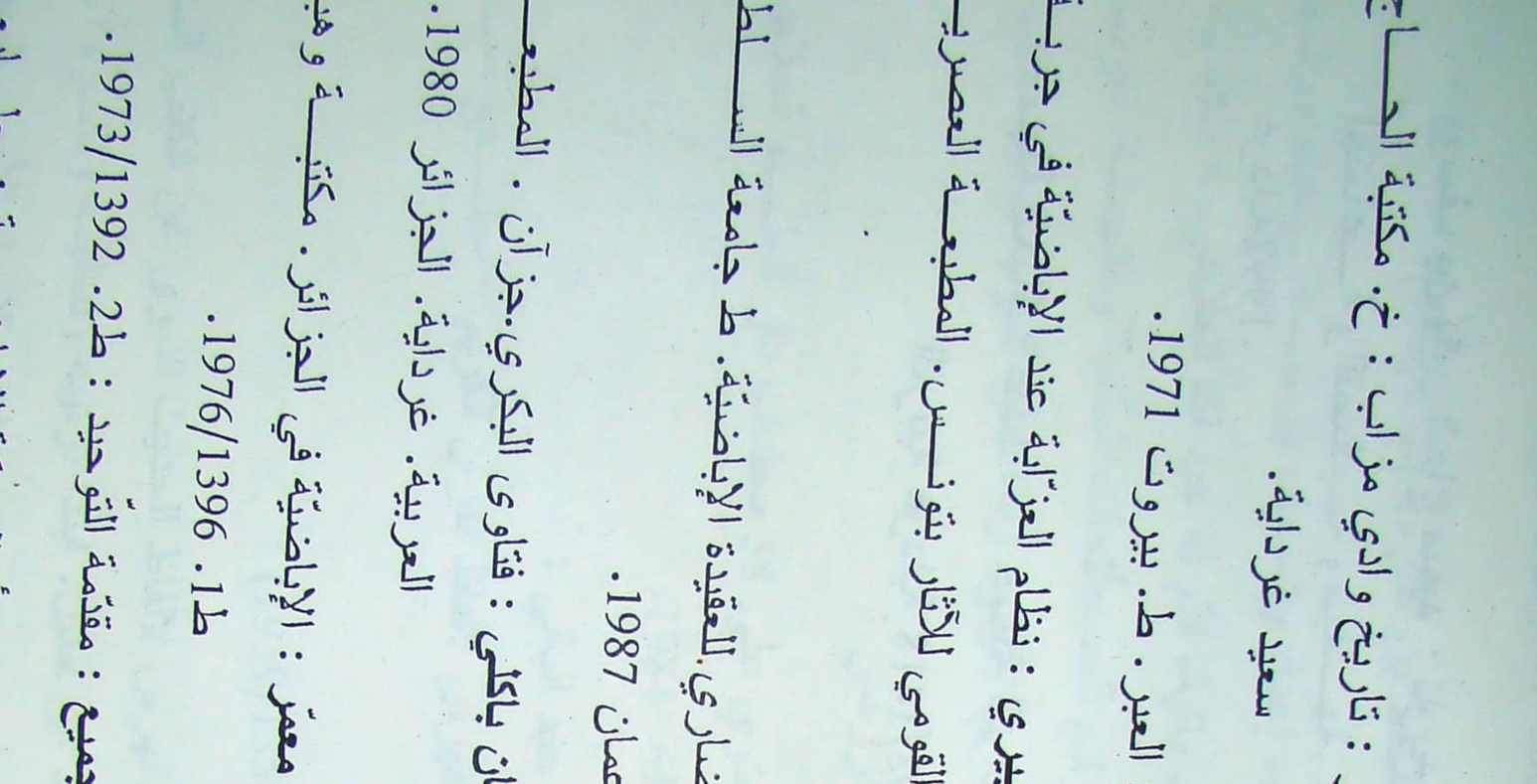
. البعد الحضاري للعقيدة الإباضيّة. ط جامعة السلطان قابوس عمان 1987.

- عبد الرّحمان باكلي : فتاوى البكري.جزآن . المطبعة العربية. غرداية. الجزائر 1980.

- علي يحي معمّر : الإباضيّة في الجزائر. مكتبة وهبة ط1. 1396/1976.

- عمر بن جميع : مقدّمة التّوحيد : ط2. 1392/1973.

- عوض خليفات : نشأة الحركة الإباضية : مطابع دار الشّعب عمان الأردن 1978.



شكل 15 : رسم بياني لتنظيم الإقامة في غار تين يسلي

عن رياض المرابط جوامع جربه

غار أبي عبد الله محمد بن بكر

- **محمد علي دبوز** : نهضة الجزائر الحديثـــة : المطبعة التعاونية. ط1 1965/1385. ج1.

- **يوسف بن بكير الحاج سعيد** : تاريخ بني مزاب : دراسة اجتماعيـــة واقتصاديـــة وسياســـية. المطبعـــة العربيـــة غرداية1992.

- **مجلة الحياة** : عدد1 نشر جمعية التراث القرارة. المطبعة العربية غرداية 1998/1418.

المراجع العامة والمعاجم العربية

(ترتيب الفبائي)

- ابن منظور (محمد بن مكرم) (799/630).

لسان العرب، إعداد وتصنيف يوسف خيّـــاط، مرتّـــب حسب الالف بائية، قدّم له عبد الله العلائلي. 4 مجلدات. خصص الرابع للمصطلحات العلمية والفنيـــة، عربـــي فرنسي انقليزي لاتيني. دار لسان العرب بيروت د.ت.

- خير الدين الزركلي :

الأعلام يحتوي على 58 مجلدات دار العلـــم للملايـــين بيروت. ط6. 1984.

- محمد فؤاد عبد الباقي :

المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم.- مطـــابع الشـــعب 1978.

- ونسنك (1939/1358) :

المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي عن الكتب الســـتة وعن مسند ابن حنبل. ابتدأ ترتيبه وتنظيمه ونشـــره ا.ب- ونسنك وي ب منسنج واتبع نشره الاتحاد الأممي للمجامع العلمية. وب دي هاس وي ب فن لـــون وعـــات ب دي

بروين مع مشاركة محمد فؤاد عبد الباقي 7 أجزاء من سنة 1936/1969.

- ياقوت الحموي (1229/626) :

معجم البلدان : 5 مجلدات. دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر. بيروت 1953/1374.

- دائرة المعارف الإسلامية EI_2. الطبعة الفرنسية.

- معجم أعلام الإباضية بالمغرب. منذ نشأة المذهب إلى نهاية ق20/14. 4 مجلدات إشراف د. محمد صالح ناصر. إعداد فرقة بحث جمعة التراث بإدارة أ. بحاز إبراهيم. أ.باجو مصطفى. بيا عمي محمد. شريفي مصطفى1995/1415.

مشروع في صدد الإنجاز وقد عرضت علينا نسخة منه لمراجعتها.

- المعجم الوسيط. أشرف على طبعه عبد السلام هارون.- مطبعة مصر. شركة مساهمة مصرية 1960-1961.

المراجع الأجنبيّة

(ترتيب ألفبائي حسب أسماء المؤلّفين)

A.K Ennami : Studies in Ibadisme. A thesis submitted to the University of Cambridge for the degree of doctor of philosophy. Fitzwilliam College cambridge. May 1971.

A.M : La vie féminine au Mzab. T_1 1927. T_2 1931.

Chistian. Bousquet : les citadins de Benî Isguen, Mzab (Algerie) dans « Petites villes et villes moyennes dans le monde arabe».

E.E.A. Alport : The Mzab. Arabes and Berbers (London)1972.

G.Marcy : Le Mzab et les Berbères Ibadhites de l'Algérie. Bult de l'Enseignement publié au Maroc. n°169 juillet – sept 1641.

Hamidu al-Lâh al-Haydar 'Abâdî : The state of Mecca, Islamic Culture, Tome 12,1938.

Jean. Moriaz : La vie économique au Mzab. B.L.S n°39 sep. 1960.

L^t d'Armagnac : Le Mzab et le pays cha'âmba. Alger Bacconnier, 1934.

Masqueray : Formation des cités chez les populations de l'Algérie (Benî Mzab) Aix-en-Provence. Ed. Sud 1983.

Mikko Vehkavaara : « The distinctive features of al. Ibadia » Studia Orientalia, edited by the Finish Oriental Society. Volume 82. Helsenki 1997.

Mogens Herman Hasen : Poleis an City – states, 600. 323. A comprehensive researh programme.

P. Cuperly : Aperçus sur l'histoire de l'Ibadisme au Mzab. Al-Risâla al-Shâfya fi b'ad tawârîkh ahl Wadi Mzab de Mhammad At Fayyash. Traduction française (extraits) avec introduction et notes 1973.

Pierre Ducrey : La muraille est elle un élément constitutif d'une cité. Acte of the Copenhagen Polis Center. Vol$_2$ Copenhagen 1995.

Tours URBAMA. 1986. Pérennité de centre ancien au Mzab : le cas de Benî Isguen (dans Présent et avenir des médines) Tours. E.R.A 706. 1982.

ثبت لأهـمّ الشّخصيـات الإبـاضيّة

*** إبراهيم أبو اليقظان**(1305–1393/1888–1973) :

ولد بالقرارة (جنوب شرقي الجزائر إحدى قـرى وادي مزاب) سنة 1888/1305. درس بها. ثمّ تتلمـذ علـى أمحمـد أطفيش ببني يسجن. والتحق بتونس للدراسة سـنة 1912/1330. وقام بها بنشاط ثقافي وسياسي كما شارك في الجزائر في تأسيس جمعية العلماء. وتفرغ للتأليف بعد سنة 1938/1357. وترك مـا يقرب من ستين مؤلفا من بينها : ملحق لسير الشّماخي. وتوفـي بالقرارة سنة 1973/1393. ر. محمد ناصر : أبو اليقظان وجهاد الكلمة. ط. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1980. البعد ص85 تعليق148.

*** إبراهيم بيوض** (ت 1981/1401) :

نشأ بمدينة القرارة وفيها حفظ القرآن الكريم. عصامي في تكوّنـه لأنه تحمل المسؤولية من صغره. لم يـدرس فـي غـير وادي مزاب، اهتمّ بالتّدريس وبالإصلاح الاجتماعي ومنطلقه في ذلـك القرآن الكريم، وقد فسّره في حلقات متلاحقة طيلة نصف قـرن، ويسعى تلاميذه الآن إلى تخريجه من المسجّلات بعنوان « فـي

رحاب القرآن ». ويعتبر رائد النّهضة المزابية واستمرّ إلى وفاته شيخا للمجلس الأعلى لنظام العزّابة بوادي مزاب. إلى جانب هذا كان له نشاط علمي على مستوى القطر الجزائري إذ كان من الأعضاء المؤسّسين لجمعية العلماء، كما كانت له مواقف سياسيّة جريئة زمن الاستعمار إذ رفض فكرة فصل الجنوب عن الشمال رغم إغراءات فرنسا. ر.محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة :3/6-81. البعد ص571. تعليق50.

*** أبو إسحاق إبراهيم اطفيش (ت 1966/1386) :**

ولد في يسجن بوادي مزاب. وبها أخذ عن شيخه امحمد اطفيش (ت 1914/1332). نفاه الاستعمار الفرنسي إلى تونس ثمّ إلى مصر نتيجة لنشاطه السّياسي. استقرّ بالقاهرة في قسم المخطوطات المغربيّة بدار الكتب المصرية، وتفرّغ للبحث والتّدريس في بيته وفي دار الطّلبة الإباضيين بوكالة الجاموس. وقد تتلمذ عليه عدد من الطّلبة الجربيّين والمزابيّين والنفوسيين والعمانيين. حقّق كثيرا من النّصوص الإباضيّة الهامّة في الحديث والتّاريخ والأصول والفقه. البعد : 84.

*** أبو بلال مرداس بن حدير(680/61) :**

مرداس بن حدير بن عامر بن عبيد بن كعب الربعي الحنظلي التميمي، أبو بلال، ويقال مرداس بن أدية وهي أمه، من عظماء الشّراة، وأحد الخطباء الأبطال العباد، شهد صفّين مع علي، وأنكر التحكيم، وشهد النّهروان، وسجنه عبيد الله بن زياد في الكوفة، ونجا من السّجن فجمع نحو ثلاثين رجلا ونزل بهم في آسك(بالأهواز بين رامهرمز وأرّجان)، وأذاع في الناس أنه لم يخرج ليفسد في الأرض ولا يروع أحد، ولكن هربا من الظلم، وأنه لا يقاتل إلاّ من يقاتله، ولا يأخذ من الفيء إلاّ أعطيات أصحابه، فوجه إليهم عبيد الله بن زياد جيشا كبيرا فهزموه، ووجه إليه ثانيا يقوده عباد بن علقمة المازني فنشب قتال في يوم الجمعة إلى الظهر، وتوادع الفرقان إلى ما بعد الصلاة فلما كان مرداس وأصحابه في صلاتهم أحاط بهم عباد فقتلهم عن آخرهم وحمل رأس مرداس إلى ابن زياد. وهو أخو عروة بن حدير. ر.الدرجيني: الطبقات 2/214-225. ر.الشماخي: السير 66-67. ر.الزركلي: الاعلام 6/86. ر.عوض خليفات: نشأة الحركة الإباضية. ط عمان الاردن1978 ص70.وشك في انتصار 40 على2000 ورجح أن الحوار أقنع القائد الأموي أسلم بن زرعة بصحة نظر وجهة مرداس. لكن السؤال المطروح كيف قبل هذا

القائد من سادته الأمويين؟ وكذلك أحببنا لو علق خليفات على الخيانة التي اعتمدها القائد الثاني لاستئصال مرداس وجماعته. وتبقى القضية فعلا محلّ نظر. البعد

*** أبو حفص عمر بن جميع (7 و 13/8 و 14) :**

يقول عنه الشّماخي : « كان إماما مشهورا وكان من العلماء منظورا. إليه تنسب العقيدة التي كانت بالبربرية فأبدلها بلسان العربية وهي اعتماد أهل جربة وغيرهم غير نفوسة في ابتداء الطلبة » السير 561.

وقد ترجم له الشيخ أبو إسحاق أطفيش في مقدّمة تحقيق نص العقيدة واعتبره من علماء النصف الثاني من القرن 13/7، وقد أدرك بداية القرن 14/8. وغاية ما نعرف عنه أنه درس على أحمد الدرجيني صاحب الطبقات. ر. ابن تعاريت : رسالة في تراجم علماء جربة : 54.

« ثم صار كبير المدرسين بجامع تيفروجين من جهة والغ القديمة حيث يوجد قبره»كما يقول الحيلاتي (1688/1099) في رسالته عن مشاهد علماء جربة : 6 أما تاريخ وفاته فمجهول. ر. الجعبيري : نظام العزّابة ص253. وقد حرّرنا بحثا مطوّلا في ترجمته. البعد ص 124 تعليق94.

*** أبو حمزة الشّاري (748/130) :**

المختار بن عوف بن سليمان ابن مالك الأزدي السّليمي البصري. ثائر. من الخطباء القادة، ولد بعمان إباضي. أرسله أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة وبلج بن عقبة نجدة لعبد الله بن يحيى (طالب الحقّ). وتوجّه أبو حمزة من اليمن يريد الشّام لقتال مروان ابن محمد وتبعه جميع أهلها(اليمن)، ومرّ بالمدينة فقاتله أهلها في قديد فقاتلهم ودخلها عنوة ثمّ تابع زحفه نحو الشّام، وقد ألقى خطبة بمكّة وأخرى بالمدينة ما تزال كتب الأدب تنوّه بقيمتهما البلاغية. فوجّه مروان بن محمد إليهم جيشا بقيادة عبد الملك بن محمد ابن عطية السّعدي وانتهت المعركة بمقتل أبي حمزة 748/130. ر. الدّرجيني: الطبقات : 258/2-267. وقد أورد الخطبتين ص 266-267. ر. الشمّاخي : السّير : 10/98. ر. الزّركلي : الأعلام71/8.

ملاحظة : يعرفه الإباضيّة بأبي حمزة الشّاري أو الإباضي ولا يستعملون الخارجي.

*** أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري الحميري اليمني (140-144/757-761) :**

التقى مع طلبة العلم المغاربة في حلقات أبي عبيدة فأشار عليهم أن ينتخبوه إماما ففعلوا سنة 140/757 فسلك مسلك الإباضيّة في الحكم في طرابلس. وأنقذ القيروان من ظلم ورفجومة الصّفرية وعيّن عليها عبد الرحمان ابن رستم واليا وقاضيا. حاربه العباسيون إلى أن تغلبوا عليه سنة 144/761.ر. الرّاشدي أبو عبيدة.ص 37 و310-317.

*** أبو داود القبلي النّفزاوي (ق8/2) :**

من بلاد نفزاوة في الجنوب التونسي. تولى الافتاء والقضاء للإمام عبد الوهاب. وتذكره المصادر لتنوه بغزارة علمه. ويروى أنّ الإمام عبد الوهاب إذا جلس بين يديه كان كالصّبيّ أمام المعلّم. الدّرجيني: الطّبقات 19/1. الشّمّاخي :السّير: 129/1. ر.الرّاشدي: أبو عبيدة : ص266.

*** أبو عبد الله محمّد بن بكر بن أبي بكر بن يوسف الفرسطائي النّفوسي، (440/1049) :**

هو أحد أقطاب العالم الإسلامي، ومن أبرز المصلحين الدينيين والاجتماعيين في المغرب، وصفه المؤرّخ علي يحي

معمّر بقوله : « هو الطود الذي تضاءلت دونه الأطواد، والبحر الذي تضاءلت الذي لا تقاس به الثماد »، وهو خضم عظيم من جلائل السير والآثار، ولنتبيّن معالم شخصية ينبغي تصنيفها إلى محطّات هي :

1 - مولده :

ولد الشيخ أبو عبد الله بمدينة فرسطاء بجبل نفوسة، شرقي مدينة كباو، من مديرية الحرابة التابعة للالوت، ولم تحدّد كتب السّير تاريخ ميلاده، فيجعله الجّعبيري في الرّبع الأخير من القرن الرّابع هجري، أي ما بين 375 و 400/985 و 1009، وهو تاريخ غير محتمل، لأنّ أبا عبد الله تتلمذ على يد الشيخ أبي نوح سعيد بن زنغيل بالقيروان، ويبدو أنّ ذلك كان أثناء إقامته بالحامّة بين يدي المعزّ الفاطمي، أي قبل رحيله إلى مصر سنة362/972. إلاّ أنّ علي يحي معمّر وسالم بن يعقوب يحدّدان تاريخ ميلاده بسنة345/957، وهو الرّاجح للسّبب المذكور.

2- تعلّمه :

أخذ مبادئ العلوم في مسقط رأسه فرسطاء، ثمّ انتقل بين عدّة مدن للاستزادة من الفنون على يد أكابر العلماء في زمانه، وهذه المدن هي كالتالي : القيروان، وجربة، والحامّة. ففي

الأولى نهل من معين اللّغة العربية وعلوم الآلة، وفي الثّانية ارتوى من علوم الشريعة على يدي الشيخ أبي زكرياء فصيل بن مسور بالجامع الكبير، وفي الحامّة عند شيخه أبي نوح سعيد بن زنغيل، فكان من تلاميذه المتقدّمين كما يذكر الوسياني في سيره.

وسافر بعدها إلى قصطيلية بحثا عن الشيخ أبي عمران موسى بن زكريا، ليأخذ عنه الفقه والفروع، إلاّ أنّ وفدا من جربة اضطرّوه إلى التحوّل من مرحلة التعلّم إلى مرحلة التعليم وتأسيس حلقة العزّابة .

3- مصدر رزقه :

اعتمد أبو عبد الله- كأغلب المصلحين الكبار- على نفسه في توفير مصدر قوته، فلم يشغله العمل العلمي والاجتماعي عن السّعي لكسب الرّزق بكدّ يمينه، فقد اتّخذ لنفسه غنما وماشية يتنقّل بها بين عدّة مناطق، متتبّعا مصدر الكلأ، مثل نفوسة، ووادي سوف، ووادي أريغ، ووادي مزاب . كما كان يملك ضيعات كثيرة منها ما أشار إليه الوسياني بقوله : إنّ بني ورتيزلن غرسوا له خمسمائة (500) فسيلة " وحيين كلّهنّ وبلغن العشور ".

4- تأسيس حلقة العزّابة :

إنّ الميزة التي برز بها علمنا على جميع أعلام الإباضية، هي تأسيسه لنظام هو الآية بين النّظم الاجتماعية القديمة والحديثة: نظام حلقة العزّابة .

فصّلت المصادر في ذكر تفاصيل تأسيس هذا النّظام، فقد كانت المبادرة لوفد من طلبة جربة، التقوا بالشيخ وهو في طريقة إلى قصطيلية- كما ذكرنا- وبلّغوا وصية شيخهم وشيخه- من قبل- أبي زكرياء فصيل بن أبي مسور بأن يطلبوا منه تأسيس حلقة للعلم، فأبي أوّل الأمر، وبعد إصرارهم وإلحاحهم الشديد لم يتركوا بدّا من القبول، فاشترط منهم مهلة أربعة أشهر ليرتّب فيها نظاما محكما ودقيقا للتسيير الحسن للحلقة، فوافقوا . وساعده في التنظير والتخطيط أستاذه فصيل بن أبي مسور، ولذلك عرف هذا النّظام بـ " السيرة المسورية البكرية".

ثمّ شرع في تطبيق مبادئ هذا النّظام في أوّل حلقة له بغار في " تين يسلي"، وهي " بليدة عمر" بالقرب من مدينة تقرت- جنوب الجزائر- حاليا، وذلك سنة 409 /1018، وإلى هذا التاريخ نسب هذا الغار، وسمي بـ " الغار التسعي " وقد حفر وجهّز ونظّم خصيصا لهذا الغرض.

والحق أنّ أبا عبد الله، لم يحصر هدفه في مجرّد التّعليم الديني النظري فحسب، وإنّما سعى إلى غرس مبادئ الإسلام في طلبته، على أنّه منهج حياة، لا فصل فيه بين العلم والعمل، ولا بين النصّ والواقع، تماما كما أنزل الله تعالى الدين آيات ونصوصا، فترجمه الرسول (ص) إلى أعمق حضارة عرفتها البشرية على الإطلاق.

ولذلك كان الشيخ كثير السّفر مع طلبته في المغرب الإسلامي، من نفوسه شرقا إلى وادي مزاب غربا، يتعلّمون ويعلّمون الناس أمر دينهم، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ونذكر من بين المناطق الكثيرة التي استقرّ فيها بحلقته: تين يسلي، قصطالية، طرابلس، لماية، جربة، تفاجالت، وادي أريغ، وغلانة، قنطرارة، وارجلان، بادية بني مصعب (وهي وادي مزاب حاليّا)...ولهذا عرف الشيخ عند العامة بـ: سيدي محمّد السّايح.

وقد ضبط قوانين وأنظمة صارمة لتسيير الحلقة، فقسّم العزّاب- جمع عزّابي- إلى ثلاث مجموعات هي: بمثابة المراحل التربوية المعروفة في عصرنا: الأصاغر- المرحلة الابتدائية-، الأواسط - المرحلة الثانوية-، الأكابر- المرحلة الجامعية-.

ويورد الوسياني تفاصيل أكثر بقوله: " وكان أبو يعقوب محمّد بن يدر الزنزفي في أمسنان بجبل نفوسة عادته يجلب العزّاب المبتدئين من أهاليهم، ويعلّمهم الأدب والسير، فإذا وصلوا الشيخ محمّد بن سدرين الوسياني أقرأهم القرآن والإعراب والنحو، وإذا وصلوا الشيخ أبا عبد الله بن بكر علّمهم الدين والعلم والأصول. فمثّلوا هؤلاء الثلاثة في أريغ وقالوا: أبو يعقوب القاطع للأعواد من الجبل حزمات، والنجّار أبو عبد الله محمّد بن سدرين يقطع الحزمات ألواحا، ويركّبها الشيخ أبو عبد الله محمّد بن بكر- رحمة الله عليهم- ويصلحها ويسنّيها".

وقد نظّم الشيخ مجلسا للنساء، يتعلّمن منه، ويستفتينه، في أمور الدين والحياة، ومن العالمات اللاّئي تخرّجن على يده: أمّ البخت وأختها.

ولم يكتف الشيخ بالجانب العلمي، فقد كان بمثابة الإمام في جميع الأمور والأحكام، وفي أخصّ الأحوال الشخصية والعائلية والاجتماعية، فقد ذكر عنه الشيخ أبو اليقظان إبراهيم ملخّصا للعديد من روايات كتب السير: " كان الإمام أبو عبد الله يهتمّ بكلّ شأن من شؤون المسلمين، ويرعى التلاميذ ويتولّى الإنفاق عليهم، ويرعى المجتمع ويتولّى توجيهه وإرشاده،

ويرعى الفقير ويسدّ عليه فقره وعوزه، ويرعى الغائب في أهله حتى يؤوب، ويرعى الأرملة واليتيم...".

وبهذا علّم تلاميذه الاعتناء بشؤون المجتمع، فتبعوه في سيرته، وورثوا مبادئ هذا النظام المحكم وورّثوه للأجيال من بعدهم، ولا يزال نظام الحلقة قائما إلى اليوم في جميع قصور وادي مزاب، يدير شؤون المجتمع: الدينية، والأخلاقية، والثقافية، والإقتصادية، والسياسية...

5- أسلوبه في الإصلاح:

اتّبع الشيخ أسلوب الأسفار والتنقّلات، التي يتعرّض فيها الطلبة للشدائد والمحن، ويبلون البلاء الحسن، ليعرف الغثّ من السّمين، والحجر من الإبريز، ويوجّه كلاّ إلى ما يصلح له: فمنهم من يصلح للقيادة الدينية، ومنهم من يخصّص للتعليم، ومنهم من لا يصلح إلاّ لنفسه...

كما كان الشيخ يعتمد على أسلوب فريد للإقناع والحجّة، فمن ذلك أنّه كثيرا ما يستعين بالأمثال الواقعية للإفهام والتغيير.

6- بعض منجزاته : ومن منجزاته:

- بناؤه لمسجد فرسطاء، ولا تزال آثاره باقية للعيان.

- إسكاته لفتنة الفرقة السكاكية، التي سعى لإشعالها أبد الله السكّاك.

- إصلاح قبيلة بني ورزمار.

- إقناع سكّان بلدة " أغرم نتلزضيت " بالمذهب الإباضي، وقد كانوا قبل معتزلة.

7- تلاميذه :

يعدّ تلاميذ الشيخ بالمئات من جميع الجهات، ولعلّ من أوائلهم زمنًا: زكريا ويونس ابنا أبي زكرياء. ومن أبرزهم ابنه أبو العباس أحمد، وأبو بكر بن يحيى، ويعقوب بن يعدل، ومصالة بن يحيى، وأبو الرّبيع سليمان بن يخلف المزاتي الذي كان رديفه في سلسلة نسب الدين...

8- تآليفه:

أوّل من ذكر من كتّاب السير بأنّ لأبي عبد الله تآليف هو أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر، في قوله: " وله في كلّ فنّ تآليف كثيرة "، وتبعه في هذه المقولة الدّرجيني في طبقاته والشمّاخي في السير: " له في كلّ فنّ تآليف كثيرة، أكثرها في الحجج

والبرهان، لأنّه كان فيها ركن الأركان، وله في الأخلاق حكم وأقوال".

غير أنّهم لم يوردوا لنا ولو عنوانا واحدا من كتبه، والناظر في التراث الإباضي من كتب السير والفقه والعقيدة، يجدها تعجّ بآرائه وحكمه؛ ومن ثمّ يتّضح لنا أنّ أبا عبد الله لم يؤلّف كتبا لقصد التأليف، وإنّما جمع له تلامذته فتاواه وحكمه وأخذها عنهم المؤلفون لتعرف فيما بعد بتأليف أبي عبد الله.

9- صفاته الخلقية، وأقوال العلماء فيه:

أطنبت المصادر في ذكر مناقبه وصفاته الخلقية، ولا بأس أن نورد أنموذجا لشهادة بعض معاصريه فيه:

- قال عنه أبو محمّد ما كسن بن الخير:"مثل أبي عبد الله مثل من قال الله تعالى فيه:(هذا نذير من النّذر الأولى)".[53النجم56].

- وقال فيه محمّد بن أبي صالح النفوسي: " فيه خمس خصال قليلة في غيره من أهل العصر: عالم، ورع، عابد، سخي، شجاع، من ذروة نفوسة".

10- وفاته :

أجمعت المصادر على أنّ وفاة الشيخ كانت سنة 1049/440، وقبره في مقبرة قدّام غاره بآجلوا، إلاّ أنّ أبا زكرياء يقول إنّ أبا الخطّاب عبد السلام نزل أريغ سنة 1050/441، فوجد أبا عبد الله يحتضر؛ وانفراده بهذه المعلومة رغم قدمه، يجعلنا نرجّح أن يكون التاريخ تصحيفا من بعض النسّاخ.

11- الدراسات حوله :

وقد اهتم العلماء والباحثون بشخصية أبي عبد الله اهتماما كبيرا، فافردوا له مؤلّفات ورسائل جامعيّة خاصة، فضلا عن الفصول المطوّلة في كتب السير والتاريخ، ونذكر من الكتب والبحوث:

- الإمام أبو عبد الله: للشيخ أبي اليقظان إبراهيم (مخ).
- نظام العزّابة: للمؤرخ متباز الحاج إبراهيم.
- حلقة العزّابة للدكتور محمّد ناصر.
- نظام العزّابة بجربة: للأستاذ فرحات الجعبيري، رسالة شهادة الكفاءة في البحث العلمي..

- مذكرة ليسانس حول حلقة العزّابة: للطالب خواجة عبد العزيز.

ومع ذلك تبقى جوانب عديدة من موضوع نظام العزّابة تحتاج إلى المزيد من الدراسات المتخصّصة، خاصة من المنظور التربوي، والفكري، والاجتماعي، والحضاري...

المصادر:

* أبو زكرياء: السيرة، 218/1، 232، 233، 247، 252-255، 269...الوسياني : سير (مخ) 44/1، 47، 65-71، 127، 131، 133، 145/2-146، 157...* الدرجيني: طبقات، 3/1-5، 167، 168، 183-185، 192، 377/2-392، 397 * الشماخي: السير، 61/2-67 * أبو اليقظان: الأمام أبو عبد الله محمّد بن بكر * سالم بن يعقوب: رسالة في ترجمة محمّد بن بكر أحال عليها أبو اليقظان * أبو اليقظان: الإباضية في شمال إفريقية * علي معمر: الإباضية في موكب التاريخ، 169/4-184 * الجعبيري: نظام العزابة * سماوي صالح: نظام العزابة * متياز: نظام العزابة (مخ) * محمّد ناصر: حلقة العزّابة * متياز: تاريخ مزاب (مخ) 10، 12، 16، 17، 42، 63، 67، 68، 90-95 * القطب: الرسالة الشافية، النسخة الموسعة، 72-75 * القطب الرسالة الشافية، 38-39، 123 * سالم بن يعقوب: تاريخ جربة، 90-95 * أعزام: غصن البان (مخ) 203-208.*الجيطالي: قواعد الإسلام، 14/1 * الجعبيري: البعد الحضاري، 114 * الجعبيري: ملامح عن الحركة الإباضية، 4 * بحاز: الدولة الرستمية، 281،332 * خليفات: النظم الاجتماعية والتربوية * مزهودي: الإباضية في المغرب الأوسط * جيلان: الفكر السياسي، 47، 169، 174* واعلي بكير، الإمامة عند الإباضية * بوعصبانة: معالم الحضارة في وارجلان * باجو: أبو يعقوب الوارجلاني (ط.ع) 13، 14، 38، 52، 55، 64، 67، 75-76 * مجهول: رسالة حول زيارة المشاهد (مخ) 15، 16، 23.

أوردنا هذه المترّجمة رغم طولها لأنّ أبا عبد الله هو مؤسس وادي مزاب ومرسي قواعد نظام العزّابة. ويبقى في تارخ الولادة نقاش.معجم أعلام الإباضيّة في المغرب.

Lewicki. T : Document inédit (tr. Buiche M[ed]) 11-12
* Fekhar : les communautes, 11,23,475

Louis. D : les Mechaikhs, 4.

*** أبو عبيدة مسلم ابن أبي كريمة (762/145) :**

تميمي بالولاء. أخذ العلم عن جابر بن زيد (771/93) وجعفر السّمّاك (8/2) وصحار العبدي (8/2)، وإليه انتهت رئاسة الإباضيّة بعد موت جابر. وبإشارته أسّس الإباضيّة في كلّ من المغرب وحضرموت دولا مستقلّة، وتخرّج على يدية رجال من مختلف البلاد الإسلاميّة آنذاك عرفوا بحملة العلم، وعن طريقهم انتشر المذهب الإباضي وفقهه في مختلف البلاد الإسلاميّة. ر. الدّرجيني : الطبقات 236/2، الشّماخي : السّير 82./ الجّعبيري: البعد : 104 تعليق 38. ر. مبارك الرّاشدي (معاصر). الإمام أبو عبيدة مسلم ابن أبي كريمة وفقهه.(45-145/665-762). دكتوراه مرحلة ثالثة نوقشت بكلية الشّريعة وأصول الدّين بتونس. مطبعة الوفاء المنصورة. ط1. 1993/1413 (698 صفحة).

*** أبو عمار عبد الكافي ابن أبي يعقوب التناوتي :**
(ت قبل 1174/570) :

ولد بتناوت إحدى قرى وارجلان وبها نشأ نشأته الأولى، ثم ارتحل إلى تونس في عهد الموحدين فجدّ في طلب العلم، واستقر بعد ذلك في وارجلان وتفرغ للتأليف والتدريس والفتوى.

وبها توفي قبل أبي يعقوب الوارجلاني إذ تولّى هذا الأخير الإجابة عن رسائل وردة على أبي عمار.

والقرن السادس هجري / الثاني عشر ميلادي يعتبر من أزهى عصور الإباضيّة من حيث الإنتاج الفكري.

أبرز مؤلفاته : الموجز في علم الكلام. حققه عمار الطالبي وط. بالجزائر 1978/1398، شرح كتاب الجهالات المنسوب لتبغورين بن عيسى الملشوطي خ بالبارونية.

ر. الدرجيني : الطبقات 485/2، الشّماخي : السير 441، عمار الطالبي : آراء الخوارج الكلامية 215/1، علي يحي معمر: الإباضيّة في الجزائر: 215.البعد ص119 تعليق82.

امحمد بن يوسف أطفيّش (1236-1332/1820-1914) :

اشتهر بقطب الأئمّة لغزارة علمه وكثرة مؤلفاته التي بلغت ثلاثمائة مؤلف. منها ما طبع ومنها ما لم يطبع.

ولد بيسجن. أخذ العلم عن أخيه إبراهيم بن يوسف أطفيّش. كان قويّ الذاكرة ونبغ من العشرين من عمره. تصدّى للبدع فاشتدّ عليه الضغط الاجتماعي فاعتزل في بنورة طيلة سبع سنوات حيث تفرّغ للتأليف. ولمّا رجع إلى يسجن عيّن رئيسا

للحلقة وجعل من داره معهدا للتدريس. وأقبل عليه الطلبة من كل مناطق الإباضيّة لتلقّي مختلف العلوم الإسلامية واللغوية.

وقد أخذ عنه سعيد بن تعاريت، وإبراهيم أبو يقظان، وأبو إسحاق إبراهيم أطفيّش وغيرهم ممن واصلوا بثّ ما أخذوه عنه. وتوفي بيسجن سنة 1914/1332. ر. محمد علي دبوز : نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة. المطبعة العربية الجزائرية 1969/1389. 1/239-388.البعد ص83 تعليق145.

*** جابر بن زيد (710/93-711) :**

هو أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي الجوفي البصري العماني، والجوفي نسبة إلى ناحية في عمان، وأصله من فرق وهي بلدة من أعمال نزوى بالقرب منها. وكان من اليحمد من ولد عمرو بن اليحمد. ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب أي سنة 641/21-642. رحل في طلب العلم، وصاحب عبد الله بن عبّاس، وكان أشهر من صحبه وقرأ عليه، كما أخذ عن جمع غفير من الصّحابة. يقول: " أدركت سبعين رجلا من أهل بدر فحويت ما بين أظهرهم إلاّ البحر يعني ابن عباس لغزارة علمه. لقد استقرّ في البصرة ونسب إليها، وهو **أصل**

المذهب الإباضي، وهو أوّل من جمع الحديث في ديوان (مفقود) تروي المصادر أنّه وقر بعير.

وقد أخذ عنه العلم ناس كثير من بينهم الإمام الثّاني للإباضيّة، وهو أبو عبيدة مسلم ابن أبي كريمة التّميمي وعنه أخذ الرّبيع كتاب الجامع الصحيح، وهو عمدة الإباضيّة في الحديث. ط. القاهرة بالمطبعة السّلفية 1930/1349. البعد : 50.

*** الجلندى بن مسعود (751/134) :**

يقول الشمّاخي : " وكان الجلندى رحمه الله إماما فاضلا عادلا حليما تقيّا عالما عاملا بالكتاب المبين وسنّة النبي الأمين محمد عليه الصلاة والسّلام" سير 109/1. ...أخذ العلم عن الإمام أبي عبيدة ووجّهه إلى طالب الحقّ واشترك في بيعته، ثمّ لما قتل طالب الحق رجع الجلندى إلى عمان فبايعوه إماما. أقام بصحار إذ كان مقرّ الإمامة فيها. وتوفّي شهيدا في المعركة التي دارت بينه وبين خازم بن خزيمة الذي أرسله السّفاح إلى عمان ليدخلها تحت سلطانه سنة 751/134 مبارك الراشدي : الإمام أبو عبيده مسلم بن أبي كريمة التميمي وفقهه 45-145.

*** دحمان بن الحاج (ق 16/10) :**

هو من علماء جزيرة جربة، خرج في وفدها مع الشيخ عمّي سعيد بن علي، وبلحاج محمد بن سعيد لإحياء ما اندثر من العلم بوادي مزاب في أواخر القرن التاسع الهجري / الخامس عشر ميلادي.

فكان الشيخ عمّي سعيد من نصيب غرداية، والشيخ بلحاج محمد بن سعيد من نصيب بني يسجن، وهو من نصيب بنورة.

اختار موضعا شرق البلدة وقال : « أريد جنانا ودارا لا جار لهما » فتولى المشيخة ببنورة، فكان واعظا ومدرسا وإماما.

انتعشت المدينة في عهده بجهاده واخلاصه، وهو الذي قام بتأسيس مسجد بنورة الحالي.

من أعماله : توفيقه في إصلاح ذات البين حيث يرجع إليه في كل النزاعات والمشاكل الداخلية والخارجية للبلدة فيفصل فيها.

وفي زمنه هجم على مزاب عدو من المغرب يقال له ابن دومة، فخرب خمسا وعشرين قرية، عندئذ أعلنت إمامة الدفاع، فكان دحمان بن الحاج إمام دفاع وذلك كعادة أهل مزاب فجهز

جيشا لقتال هذا العدو والأخذ بالثأر منه، فكان له ما أراد وانتصر على ابن دومة، فانتقم منه امتثالا لقوله تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾.[2 البقرة 194].

له ببنورة مقبرة كبيرة للعامة وفيها روضة بمحرابها تزار في المناسبات.

المصادر :

*أطفيش : الرسالة الشّافية، 51-52 * أبو اليقظان: ملحق السير (مخ) 22 * متياز : تاريخ مزاب (مخ) 92 * معمر علي : الإباضية في موكب التاريخ، 333/4 * دبوز : نهضة الجزائر، 252/1 * النوري : دور المزابيين، 90/1 * الجعبيري : نظام العزابة، 291 * الحاج سعيد : تاريخ بني مزاب، 70 * مجهول : حول زيارة مشاهد مزاب (مخ) 21. معجم أعلام الاباضيّة بالمغرب.

*** سعيد بن علي بن حميد *بن عبد الرزاق بن سعيد الخيري الجربي، الشهير بعمي**سعيد(أبو عثمان) (ت :محرم 898/جانفي1492) :**

علم أطبقت شهرته الآفاق، وقد اشتهر باسم عمّي سعيد.

ولد في قرية آجيم وهذا معنى نسبته - الخيري - بجزيرة جربة بتونس، وبها نشأ وأخذ العلم عن أبي النجاة يونس بن سعيد بن يحيى بن تعاريت الصدغيابي الجربي، وأبي بكر بن عيسى الباروني.

لمّا تفشى الجهل بوادي مزاب، بعث أهله إلى مقدّم جماعة جرب الشيخ علي بن حميدة وفدا يطلبون منه إرسال أحد تلامذته ليحيي العلم والدين بالوادي، فأجابهم إلى ذلك واختبر أبناءه الثمانية وتلامذته، فنجح ابنه سعيد في الاختبار بجدارة، وكان عمره آنذاك ثمانية عشر سنة، فقدم إلى مزاب سنة 1450/854، مع عالمين آخرين وهما الشيخ بالحاج محمد بن سعيد الذي كان من نصيب بني يسجن، والشيخ دحمان الذي كان من نصيب بنورة، وأما هو فكان من حظ غرداية، فبادر من أول يوم إلى الإصلاح الاجتماعي والعلمي، والديني، فأحيى وادي مزاب وكون نهضة علمية، فكان من منجزاته ما يلي :

تأسيس مجلس للفتوى سنة 1450/855 يجمع مشايخ وعلماء كل قصور وادي مزاب، ووراجلان، وقد سمي باسمه فيما بعد، ولا يزال المجلس قائما بدوره إلى اليوم.

إصلاح ذات البين، سواء بين عشائر البلدة الواحدة، أو بين قرى وادي مزاب، وقام بدور القاضي العام.

إنشاء دار التلاميذ في غرداية، ودرّس فيها مختلف الفنون الشرعية واللغوية، وتخرج على يديه نخبة من العلماء الكبار أمثال أبنائه ومنهم أصغرهم صالح بن سعيد الذي عينه خليفة له في المشيخة، بطلب من أهالي غرداية. وأمثال الشيخ أبي مهدي عيسى بن إسماعيل المليكي الذي كان رديفه في سلسلة نسب الدين : عن الشيخ عمي سعيد عن أبي النّجاة يونس بن سعيد.

جمع واستنساخ كثيرا من الكتب النفيسة وحبسها بدار التلاميذ بغرداية، وقد اكتشف ما تبقى منها منذ بضعة شهور، وفي إطار إعداد جمعية التراث لدليل مخطوطات وادي مزاب، أنجزت فهرسا شاملا لمخطوطات مكتبة الشيخ عمي سعيد الموجودة الآن بحوزة أحد حفدته، وبها كثير من منسوخاته مؤرخة بـ 1479/884 بجبل نفوسة، مثل التحف المخزونة لسليمان بن يخلف المزاتي، ومغني اللبيب لابن هشام... ومخطوطات نفيسة أخرى ينيف عددها على المائة عنوان.

تأليف عدة رسائل وقصائد، وفتاوى، نذكر منها على سبيل التمثيل : منظومة في الفقه، سؤال على شكل قصيدة لبعض

فقهاء غير الإباضيّة، وصلنا منها 34 بيتا، خطبتا العيدين، وكذا الدعاء الذي يتلى جماعة بعد صلاة الصبّح والمسمى بالسلام، بالإضافة إلى الكثير من الفتاوى الفقهية.

ونشير إلى أنّه أوّل من لبس الرداء الرسمي للعزابة، فكان سنة متبعة من بعده إلى اليوم في بعض قصور وادي مزاب.

توفي بغرداية ودفن في المقبرة المعروفة باسمه، وفي روضتها يجتمع عزابة القصور السبعة وورجلان لمناقشة واتخاذ القرارات فيما يجد للناس من أمور دينية واجتماعية وثقافية، واقتصادية، وسياسية.

وفي سنة 1973/1393 أنشئ معهد للعلوم الشرعية باسمه وهو معهد عمي سعيد، لأعداد الكفاءات العلمية في علوم الشريعة الإسلامية.

*** المصادر :**

- سليمان بن يخلف : التحف المخزونة (مخ) نسخ أمي سعيد بتاريخ 1479/884، ق128، * ابن هاشم : معني اللبيب (مخ) نسخ أمّي سعيد بجبل نفوسة بليبيا في بلد إجريجن، بتاريخ 1479/884، ق73 * القطب أطفيش: الرسالة الشافية، 39،45،122، * أبو اليقظان : ملحق السير (مخ) 1/5-7، 13 *

متياز : تاريخ مزاب (مخ) 92،110 * معمّر علي : الإباضية في موكب التاريخ، 3/423، 4/234، 236 * دبوّز : نهضة الجزائر، 1/251* النوري: نبذة، 1/67 * محفوظ محمد : تراجم المؤلفين التونسيين * الجعبيري : نظام العزّابة، 215،219، 269...،271،290،291 * الجعبيري : البعد الحضاري 1/165 * الجعبيري : دور المدرسة الإباضية، 48 * الجعبيري : ملامح عن الحركة العلمية، 11* الحاج سعيد : تاريخ بني مزاب، 78 * جمعية التراث : دليل المخطوطات، فهرس مكتبة الشيخ عمي سعيد، كلّها وفهرس آل يدّر، ص152 وغيرها، فهرس مكتبة ميتاز مج36 * قشار بلحاج : عوائد مزاب، 1،6،23، تقييد ما وقعت من فتنة (مخ) 84-85 * مجهول : رسالة حول زيارة مشاهد مزاب (مخ) 1،6،23،

* Louis : Les mechaikhs, 28,31 * Cuperly : Interview du Cheikh Bayyud, 44.

الملاحظات :

* ورد بوحميدة ** ورد بالبربرية : أمّي سعيد. معجم أعلام الاباضية بالمغرب.

*** عاصم السدراتي (ق8/2) :**

نسبة إلى قبيلة سدراتة على ما يذكر امحمد اطفيش. يقول عنه الشمّاخي :" جمع العلم والعمل والجهاد والحزم وشدة الحزم والرّأي، وحيد الدهر وفريد العصر. سير1: 126.

وقال :" من أئمة المغرب ومشاهير أشياخها وقادة أهلها". ن.م: 126. وكان من خيار المسلمين وأكثرهم نجدة وشجاعة، ومن خيار من صحب الإمام أبا الخطاب المعافري وساعده في سعيه لإظهار دعوة الإسلام: الدرجيني: طبقات: 29/1.

مات مسموما عند حصار الإباضية للقيروان أو عند حصار أبي حاتم لها والراجح الحصار الثاني، ر.الراشدي : أبو عبيدة : 265-266.

*** عبد الرّحمان بن رستم (160-171/777-787) :**

مؤسّس الدّولة الرّستميّة. أخذ العلم عن أبي عبيدة في البصرة مع طلبة العلم. وعمل واليا وقاضيا على القيروان زمن إمامة أبي الخطاب (140-144/757-761) وعندما قضى العباسيون على هذه الإمامة فرّ إلى جبال أوراس ومن هناك استطاع أن يعيد كيان الإباضيّة، وتمكّن من تأسيس الإمامة الرّستميّة سنة 160/171. اشتهر بالعلم والورع والعدل. وتذكر له

المصادر تفسيرا للقرآن الكريم ما يزال مفقودا. بحاز إبراهيم بكير: الدّولة الرّستميّة (160-196/777-909). دراسة في الأوضاع الاقتصاديّة والحياة الفكريّة. ط1 مطبعة لافوميك الجزائر 1985. ص 92-97. وقد أحال على جميع المصادر.

*** عبد الرحمان الكرتي المصعبي ق(12/6) :**

من علماء وادي مزاب في القرن السادس هجري/12، ومن كبار تلاميذ الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر مؤسس نظام حلقة العزابة.

كما يعد من المعمرين الأوائل بالمنطقة، كان ينشط في مليكة حتى صارت منارة للعلم يقصدها الطلبة من جميع قرى وادي مزاب.

وأوردت له كتب السير رسالة بعث بها إلى علماء وارجلان يستفتيهم في مسائل العقيدة كاليقين والقدر وأشراط الساعة فأجابه عنها أبو عمار عبد الكافي التناوتي (ت قبل 570/1174).

له مصلى لا يزال قائما قبلة مدينة مليكة، وفيه كانت تعقد اجتماعات مجلس عمّي سعيد الهيئة العليا لعزّابة مساجد مزاب،

كما تقام فيه المؤتمرات الدينية السنوية المعروفة بمؤتمرات : لا إلـه إلا الله.

وقد توفي خارج وادي مزاب ويذكر بعض المستشرقين أنه اختفى في 30/798 مارس1377م، ويبدو أن هذا وهنٌ في التاريخ أو في الشخص.

وسمي باسمه مجلس باعبد الرحمان الكرتي، المهتم بشؤون مدن مزاب الاجتماعية والاقتصادية، ولا يزال قائما إلى اليوم.

الملاحظات : يرد باعبد الرحمان، وأبو عبد الرحمان، وهذه الباء تعني الشيخ أو السيد في لسان بني مزاب.

المصادر :

* الوسياني : سير (مخ) 281/2 * الدرجيني : طبقات، 488/2 * متياز : مؤلف حول العزابة (مخ) 1 * متياز : تاريخ مزاب (مخ) 14،15،23،42،63 * معمر علي : الإباضية في موكب التاريخ، ح208/4 * الحاج سعيد : تاريخ بني مزاب، 33 * مجهول : رسالة حول زيارة مشاهد وادي مزاب، 4،15-16. معجم أعلام الإباضيّة بالمغرب.

* Louis D : Les Mechaikhs, 3 * Cuperly : Introduction, 44.

*** عبد العزيز بن الحاج إبراهيم الثميني (1808-1718/1223-1130) :**

ولد بمدينة بن يسحن - إحدى مدن وادي مزاب - وبها ترعرع وحفظ القرآن الكريم ثمّ تفرّغ لتدبير أملاك والده ولم يرجع إلى طلب العلم إلاّ في الثلاثين من عمره فأخذ عن شيخه أبي زكرياء يحي بن صالح الأفضلي (ت 1787/1202) اعتزل الناس طيلة ثمانية عشر عاما تفرغ فيها للتأليف أنتج فيها أحد عشر مؤلفا عدا فتاواه العديدة نكتفي بذكر كتاب « النور » شرح القصيدة النونية هذّب فيها شرح عمر التلاتي. هنالك فهم قومه مكانته العلمية فأسندوا إليه مشيخة المسجد ببلدته سنة 1786/1201 ثم مشيخة مزاب أي رئاسة مجلس عمّي سعيد، المجلس الأعلى لعزابة وادي مزاب.توفي ببلدته سنة 1808/1223.البعد ص162تعليق 103.

*** عبد الله بن إباض التميمي المري** (تقبل 705/86) :

" إمام أهل التحقيق والعمدة عند شغب أولى التفريق (الشّماخي: السير77). سكتت المصادر عن نشأته الأولى إلاّ أنها تشير إلى أنه كان يعمل برأي الإمام جابر بن زيد. ونسب المذهب إليه لبروزه على الواجهة السياسية خاصة في مؤازرة

عبد الله بن الزّبير، وخاصّة في اجتماع المحكمة بالبصرة سنة (683/64)، وانفصاله عنهم على أساس عدم جواز تشريك من يقام الآذان في مساجدهم. وكذلك في مراسلاته لعبد الملك بن مروان (65-685/86-705) وقد وضح موقف الإباضية من الاحداث السياسية بجرأة رغم ما فيها من إساءة للأمويين. ر.البرادي: الجواهر: 165-167. والراجح أنه توفي قبل 705/86. ر.الدرجيني: الطبقات 214/2. ر.الشماخي: السير77. عوض خليفات: نشأة الحركة الإباضية 75-85. ر.عمار الطالبي: آراء الخوارج الكلامية 193/1.

* **عبد الله بن وهب الراسبي** (9صفر 17/38 جوان658):

هو عبد الله بن وهب بن راسب بن يدعان بن مالك بن نصر من الأزد، وهي قبيلة نزلت البصرة. أدرك النبي صلى الله عليه وسلم، وشارك في فتوح العراق بقيادة سعد بن أبي وقاص (674/55). كان من أنصار علي في حروبه. ثم أنكر التحكيم. بايعه المحكمة عندما ثبتت خدعة الحكمين في (20 شعبان31/37جانفي658). فطلب منهم علي الرجوع إلى المناصرة الا أنهم استتأبوه وطلبوا منه الدخول في مادخل فيه المسلمون.

وجاء في رسالة المحكمة إلى علي بن أبي طالب :"...إن كنت صادقا فادخل فيما دخل فيه المسلمون من طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة إمام المسلمين عبد الله بن وهب الراسبي، فقد بايعناه بعد خلعنا إياك لاستحقاقك منا أن نخلعك، ولا وسعه الا ذلك" سرحان الازكوي: كشف الغمة ورقة 281.

وقتله في معركة النهروان هاني بن خطاب الارحبي وزياد بن حفصة في 9صفر 17/38 جوان658.

ويعتبره الإباضية من أئمتهم. ر.الدرجيني: الطبقات: 210/2. والشماخي : السير : 51. ر.عمار الطالبي: آراء الخوارج الكلامية 88/1-95، وقد توسع في ترجمته.

ويقول الزركلي :" من أئمة الإباضية كان ذا علم ورأي وفصاحة وشجاعة، وكان عجبا في العبارة. أدرك النبي صلى الله عليه وسلم : الاعلام288/4.

* **عبد الله بن يحيى بن عمر بن الأسود الكندي الجندي الحضرمي المعروف بطالب الحقّ (أبو يحيى) (748/130):**

نشأ في اليمن حيث وصلت الدّعوة الإباضيّة سرّا. فالتحق بحلقة أبي عبيدة بالبصرة حيث كان يقع التّفكير في الثّورة على

الدّولة الأمويّة. رجع إلى حضرموت موطنه الأصلي حيث ولي القضاء لإبراهيم بن جبلة عامل الأمويّين هناك في انتظار وصول المدد من البصرة. وحال وصوله مع أبي حمزة الشّاري بويع طالب الحقّ إماما للظّهور فخيّر العامل الأموي بين الانضمام إليهم أو الخروج. فالتحق هذا الأخير بصنعاء التي كان عليها القاسم بن عمر التّقفي. ثمّ استطاع طالب الحقّ بعد ذلك أن يعلن الإمامة بصنعاء بعد انتصاره على واليها من قبل الأمويّين. ثم يمّم نحو الحجاز فضمّ إليه مكّة والمدينة بعد حروب. هنالك وجّه إليه مروان ابن محمد آخر خلفاء بني أميّة جيشا بقيادة عبد الملك بن محمد السّعدي استطاع أن يهزم أبا حمزة في الحجاز ثم طالب الحق باليمن 748/130. وبذلك انتهت إمامة الظّهور باليمن لكنّ الكيان الإباضي استمرّ بها إلى ق13/7. ر.الشمّاخي السّير 98. مهدي طالب هاشم: الحركة الإباضيّة : 98-164. مبارك الرّاشدي : الإمام أبو عبيدة: 275-293. الزّركلي:الأعلام 144/4. ط 6.1984.

Radhi Daghfous : Le Yaman islamique. Des origines jusqu'à l'avènement des dynasties autonomies. (1-3 / VII-IX) I.M.P. stag. Tunis. Publications de la Faculte des Sciences Humaines et Sociales. Serie 4 : Histoire. Volume : XXVI. Université de Tunis I 1995. T1. 509p. T2 513-1079. P. 610-669.

*** عروة بن أديّة(678/58) :**

و عروة بن حدير التميمي، وأدية أمه. أول من قال: لا حكم إلاّ لله، وسيفه أول ما سل من سيوف أباة التحكيم. وذلك أنه عاتب الأشعث فشهر سيفه وضربه فأصاب عجز بغلته، وحضر حرب النّهروان فكان أحد الناجين منها، وعاش إلى زمن معاوية، فجيء به إلى زياد بن أبيه، فسأله عن أبي بكر وعمر فقال خيرا، وسأله عن عثمان وعلي فأثنى على عثمان في ست سنين من خلافته وشهد عليه بالكفر في البقية(والكفر هنا نعمة بمعنى المعصية)، وأثنى على علي إلى يوم التحكيم ثم كفره، فسأله عن نفسه فأغلظ له فأبقى عليه إلى أن كانت أيام عبيد الله بن زيد فقتله عبيد الله". ر.الدرجيني: الطبقات. 225/214/2. ر.الشماخي :السير: 67. ر.الزركلي: الاعلام 5/16-17.

*** فصيل بن أبي مسور يسجا بن يوجين اليهراسني، أبو زكرياء : (ت:بين420 و440/1028-1048) :**

من أفذاذ العلماء بجزيرة جربة في تونس. ولد بمدينة نفوسة، وقد تلقى العلم عن أبيه أبي مسور يسجا بجربة، ثمّ عن الشيخ أبي خزر يغلا بن زلتاف بإفريقية، فصار عالما فقيها.

لمّا قام أبو خزر بثورته ضدّ الشيعة أراد أن ينضمّ إليها أبو زكرياء لولا أن قضي عليها.

ثمّ تولى التدريس مع أبي محمد كاموس، وأبي عمرو النميلي، وأبي صالح بكر اليهراسني، في المسجد الكبير لبني يراسن بجربة بعد أن أتم إنجاز ما بدأه والده في بنائه.

وقد تخرج على يده تلاميذ نجباء أمثال : أبي الخطّاب عبد السلام بن وزجون، وأبي الربيع سليمان بن يخلف الميزاتي، وأبي محمد ويسلان بن أبي صالح اليراسني، والعلامة أبي عبد الله محمد بن بكر.

ولقد فكر في تأسيس نظام يحفظ أمان وبقاء الإباضية، فاختار لتجسيد الفكرة تلميذه أبا عبد الله محمد بن بكر، الذي قام بتقنين هذا النظام وتأسيسه، فأطلق عليه تسمية نظام العزابة، وذلك بمساعدة ولدي فصيل (زكرياء ويونس) ويعتبر بذلك فصيل صاحب الفكرة الأساسية لنشأة نظام العزابة، ولذلك سمي النظام بـ: « السيرة المسورية البكرية » نسبة إلى فصيل بن أبي مسور، ومحمد بن بكر.

كان متميزا بالخصال الحميدة، والأخلاق الفاضلة، مما جعل الكثير من تلامذته يقولون فيه عدة أقوال – ذكرتها كتب

السير- تدل على عظمة هذه الشخصية، ومن ذلك كرمه الحاتمي المخلص، فقد كان ينفق على تلامذته بطريقة سرية، فلم يعلموا بذلك حتى توفي إذ انقطعت تلك النفقة عنهم. وقد صار قدوة لجميع الإباضيّة بالجنوب التونسي.توفي رحمه الله بين سنة420و 440/1028–1048.

المصـــادر :

* أبو زكرياء : السيرة (ط.ت) 1/216،218،240،244. (ط.ج) 230،252،255 * الوسياني : سير (مخ) 1/13،40،55،106، 125–126 * الدرجيني : طبقات، 8/1،139،157–159،189،192،2/218،242،254،361–364،393 * الشماخي : السير،371 * أبو اليقظان : الإمام محمد بن بكر (مخ) 8–34 * علي : الإباضية في موكب، ح3/103،108 ح3/284–296* سالم بن يعقوب : تاريخ جربة، 73،77،80،83،92،110 * الجعبيري : نظام العزابة، 29،31،33،34،177،185 * الجعبيري: ملامح عن الحركة العلمية، 4–5 * الحاج سعيد: تاريخ بني مزاب، 35. معجم أعلام الإباضيّة بالمغرب. معجم أعلام الإباضيّة بالمغرب.

*** علي يحي معمر** (1338-1401/1919-1980) :

ولد بنالوت وبها تعلم على المقرئ عبد الله بن مسعود الباروني، ثم دخل المدرسة الرّسمية حيث اعتنى به معلمه عيسى بن يحي الباروني، وأخذ هنالك عن رمضان الليّني وقد وفد من جربة 1344/1925 لتدريس الفقه الإباضي هناك تلبية لرغبة أهل نالوت. سافر إلى تونس سنة 1346/1927 والتقى مرة أخرى بشيخه رمضان الليني بمدرسة الإباضيّة، وهنالك تردد على دروس جامع الزيتونة بصفة حرّة، ودروس محمد الثّميني المزابي (ت 1391/1971) وفي تلك الأثناء تردّد على جزيرة جربة حيث كوّن مع نخبة من الشباب جمعية دينية للدفاع عن الإسلام.

ثم لمّا بلغه صدى معهد الحياة بالقرارة – وادي مزاب – رحل إليه سنة 1357/1938، حيث بقي سبع سنوات يحضر دروس شيخه إبراهيم بيوض (1401/1981) في التفسير وما إلى ذلك من العلوم الإسلامية ويساعده على التدريس أيضا.

رجع إلى نالوت سنة 1366/1945، اهتم مدة بالسياسة. ثم تفرغ بسرعة للتدريس فارتقى في سلم التعليم حتى استقر بوزارة التعليم في منصب إداري سام.

وفي الأثناء قام بعدة رحلات في العالم العربي، وأنتج عددا منه المؤلفات في تاريخ الإباضيّة والأدب. توفي سنة 1980 وأخذنا هذه المعلومات عن صديقه الذي عاصره طوال حياته سليمان عون الله : رحلة إلى جبل نفوسة سنة 1981. البعد ص86 تعليق150.

فهرس الآيات القرآنية
حسب ترتيب السور

الآيـــة	رقمها	السورة ورقمها
لقد تاب الله علـــى النبـــيّ والمـــهاجرين والأنصار الذين اتّبعوه في ساعة العســـرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثـــم تاب عليهم إنّه بهم رؤوف رحيم وعلـــى الثّلاثة الذين خلّفوا حتىّ إذا ضاقت عليـهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفســهم وظنّوا أن لا ملجأ من الله إلاّ إليه ثم تـــاب عليهم ليتوبوا إنّ الله هو التوّاب الرحيم.	117–118	التوبة9
يا أيّها النّاس إنّا خلقناكم من ذكـــر وأنثـــى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم.	13	الحجرات 49

ثبت لأهمّ المصطلحات

الإمامة الصّغرى	42
أهل الاستقامة	6
أهل الدّعوة	6
بلاد الشّبكة	3
تنظيم الحراسة	38
جماعة المسلمين	6
دار التلاميذ	41
دار العشيرة	34
رئيس الجماعة	33
رئيس العرش	33
شيخ الحلقة	42
شيخ وادي مزاب	45
الصف الشرقي	46
الصف الغربي	46
الضامن	33
الطلبة	44
العامة	43

العرش	32
العزّابة	41
العشيرة	33
الغسّالات	44
القبيلة	33
القرية	15
القصور	15
القعدة	7
لقاء لا إله إلاّ الله	50
المجلس الأعلى لوادي مزاب	44
مجلس الضمّان	35
المحاضر	38
مسالك الدّين	7
مسطوردان	36
مقدم القبيلة	33
المكاريس	36
الولاية والبراءة	43

فهـرس الأعـــلام

(ترتيب ألفبائي)

الأعلام	الصفحة
إبراهيم بن عبد الله محمد بن أبي بكر الفرسطائي	1
إبراهيم بيوض	34
إبراهيم مطياز	10-9
ابن خلدون	28-27
ابن دومة	48
أبو إسحاق اطفيش	28
أبو بلال مرداس بن حدير	6
أبو حمزة الشاري	8
أبو الخطاب عبد الأعلى المعافري	8
أبو داود القبلي النفزاوي	8
أبو درار إسماعيل الغدامسي	8
أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي	67-60-59-40
أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي	40
أبو عمار عبد الكافي	40
أبو مهدي عيسى بن إسماعيل	61-44
أبو اليقضان (الشيخ)	44
أحمد توفيق المدني	67
ألبور Alport	35-6-1
امحمد بن يوسف اطفيش (القطب)	61-17

بالحاج الشيخ	21
بحاز إبراهيم	28
بريسون Brisson	23
البكري	27
بوسكي Bousquet	23
بيوض (الشيخ)	61
جابر بن زيد	6
الجعبيري فرحات	43-41-18-10-8-5-4
الجلندى بن مسعود	8
الحجاج بن يوسف	7
حمو بن باحمد باكلي	
حميد الله الحيدر آبادي	30
خليفة بن أبغور	15
تجين	27
دحمان (الشيخ)	48
درمانياك L^{F} D'armagnac	30
درسي Durcy	21
الرسول صلى الله عليه وسلم	62
زردال	27
الزركلي	4
سعيد الجربي	61-45-44
سليمان بن عبد الجبار	10-9
الشماخي	51

صالح (باي قسنطينة)	49
عاصم السدراتي	8
عبد الرحمان باكلي	27
با عبد الرحمان الكرثي الزناتي	60
عبد الرحمان بن رستم	8
عبد العزيز الثميمي	61
عبد القادر – الأمير)	49
عبد الله بن إباض	7-6
عبد الله بن الزبير	6
عبد الله بن وهب الراسبي	6-5
عبد الله بن يحي	8
عبد الواد	27
علي (الإمام)	6-5
علي يحي معمر	36-34-29-15-5-1
عروة بن أدية	6
عمر بن جميع	7
عمر بن العاص	5
عوض خليفات	6
فهكفرا Vehakavaara	5
فصيل بن أبي مسور	59
كوبرلي Cuperly	34-18
قابوس (السلطان)	5
القرادي (الشيخ)	33

قوفيون Gouvion	68-16
قويشون Goichon	49
مبارك الرّاشدي	8-7
مرسي Marcy	51-19-1
محمد علي دبّوز	18-17-19
مسكري Masqueray	36-35-32
مصاب	32
مصعب بن بادين	27
المنصور بن ناصر	31
موريار Moriaz	67
نافع بن الأزرق	6
النامي	59-7-6-5
هنسن Hansen	1
واصل بن عطاء	9
يحي بن إسحاق الميروقي (ابن غانية)	31-27
يوسف بن بكير الحاج سعيد	4-15-16-17-18-21-23-27-29-30-34-35-42-46-47-55-60-68-69

فهرس الفرق والقبائل والطوائف

(ترتيب ألفبائي)

الفرقة	الصفحة
الإباضية	1-4-5-6-7-8-9-11-19-27-30-32-34-36-47-59-60-61-75-76-78
إسماعيل (أولاد)	47
الأمازيغ (الأمازيغية)	27-52
أمسطوردان (أمسوردان)	36
الأموية (الدولة)	7
أهل الدعوة	6-10
با سليمان (أولاد)	47
أولاد يوسف	17
أهل الاستقامة	6
بالة (آل)	47
البربر	28-30-52
بتر	27
بنو بادين	27-28
بنو توجين	27
بنو حماد	31
بنو خفيان	31
بنو رستم	9-10
بنو ريغة	28

بنو زردال	28
بنو زروال	28
بنو عبد الواد	27
بنو مدرار (دولة)	31
بنو مرزوق	47
بنو مزاب	4-16-17-21-27-32-36-48-60
بنو مصعب	27-29
بنو نور	16
بنو هلال	31
بنو وادين (واسين)	28
بنو يسجن	32-33
أمازيغية	52
جلمام (أولاد)	47
جماعة المسلمين	6
الحرازلية	47
الخوارج	5
الدبابة	47
الدوناتية Donatisme	30
الرستميون	9
زناتية	52
زناتة	27-28
الزيت (أولاد)	47
الشاوية	52

الشعبانية	47
الشيعية (الدولة)	9
عبد الله (أولاد)	46-47
عثماني	6-75
عزابة	33
العطاطشة	47-48
العفافرة	46
علاهم (أولاد)	47
عمي عيسى (أولاد)	46
عنان (أولاد)	32-47-48
القراريون	47
المالكية	34-47
المحكمة	6
المذابيح	46-47
المزابيات	51-52
المزابيون	15-17-23-24-28-42-49-51-53-54-55-61-62-63-67-68-69-70-71-75-78
المزابية (المدينة الدولة)	21
مصاب	28
المعتزلة	4-9-10-16-28-59
المغرب	31
مليكش	17
الموحدون	31

موسى (أولاد)	48-46-32
النشاشبة	47
النفوسية – النفوسيون	52-11
نوح (أولاد)	47
الهلالية	28
واصلية	4
يدر (أولاد)	46-32
يونس (أولاد)	47

فهـــرس الأمـــاكـــن

الأبيض سيدي الشيخ	31
آت بونور	16
آت يزجن	16
أتملشت	17
الأردن	6
أريغ	59
أغرم أنوداي	17
أغرم نتلزضيت	29
إغزر أوغلان	4
الأكاديمية الدنماركية	2
أكس أن بروفاس EX-Provece	36-33
الأوراس (جبال)	28
الباصور	47
البخاري (قصر)	31
بريان	48-47-18-17-4
البصرة	47-40-7-6
البليدة	69
بني مصعب (بادية)	31
بني يسجن	-47-46-23-21-16-4 70-69-48
بو نورة	47-46-16-4-3

بيروت	27
تاجنيت	16-15
تافلالت	16
تاهرت	19-8
تبوك	62
تطاوين	15
تغردايت	16
تقرت	17
تونس (التونسية)	70-69-9-4
تيطر (جبل)	28
جبال ملوية	28
جامعة السلطان قابوس	5
جبل نفوسة	60-52-40-32-9
روما	36-35
جدة	71
جربة	78-60-59-47-32-9-4
الجزائر (الجزائرية)	76-75-61-54-52-33-29-23-17-16-9-3-1
الحمادة	28
الجنوب التونسي	15
زلفانة	4-3
زوارة	9
سبخة الهيشة	4
سجلماسة	32-31

سدراتة	67-31-27-19
سطيف	69
الشبكة (بلاد)	29-19-4-3
شمال إفريقيا	59-15-9-8-5
طرابلس	52
العراق	7
العطف	48-47-46-29-20-16-15-9-4-3
عمان	8-5
عمان	6
عمور (جبل)	31
عين البيضاء	52
غرداية	47-46-44-38-28-18-17-16-15-4-3
غليزان	69
فرنسا	78-76-70-69-19
القاهرة	1
القرارة	47-34-28-17-3
قسطينية	32
قسنطينة	32
كمبردج Cambridge	5
كوبنهاقن Copengagen	1
ليبيا (الليبية)	69-52
متليلي	47

مدنين	15
المدينة المنورة	71
مزاب (بلاد)	
مصاب (قصور)	29-28--27
المغرب	75-28-27
المغرب الأوسط	8
مكة المكرمة	71-30
مليكة	47-44-17-4-3
مليكش	17
المنيعة	31
نفوسة	4
النهروان	6
وادي الأبيض	3
وادي أريغ	67-31-18
وادي أزيول	3
وادي باللوح	17
وادي بوزبير	
وادي التوزوز	3
وادي زرقون	3
وادي زقرير	17-3
وادي السودان	17
وادي العديرة	3
وادي غنيم	31

وادي متليل	3
وادي مزاب	1-2-3-4-5-6-7-9-10- 11-13-15-18-19-10- 11-13-23-24-25-27- 30-31-34-35-36-39- 40-41-42-43-44-45- 49-51-52-54-55-57- 59-60-61-63-64-65- 67-68-69-70-73-75- 76-77-78
وادي نسا	17-3
وادي النساء الكبير	17
وارجلان	60-31
يسقن	4-3
اليمن	8

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــوعـــــــات	الصفحة
مقدمة	1
تمهيد : التعريف بوادي مزاب عبر المكان والزمان	3
بلاد الشبكة	3
أهم الأودية	3
بلاد مزاب	3
مزاب واصلية	4
مزاب إباضية	4
تعريف الإباضية	5
أهل الدعوة	6
جابر بن زيد وعبد الله بن إباض والقعود	6
أبو عبيدة مسلم ومسالك الدين	7
إمامات الظهور	8
الكتمان في المغرب	9
الأمازيغ يعتنقون الإسلام	9
مزاب معتزلة ثم إباضية	9
أبو عبد الله ودعوته إلى الإباظية	10
-المحور الأول : العمران في وادي مزاب	13
نشأة مدن مزاب تدريجية	15
1- تاجنيت – العطف	15

2- آيت يونور – بونورة 16
3- تغردايت – غرداية 16
4- آت يزجن – بني يزقن 16
5- آتملشت – مليكة 17
6- القرارة 17
7- بريان 17
مجلس وادي أريغ يختار مزاب لتعميرها 18
اختيار منطقة الشبكة خطة دفاعية 19
لماذا خمس مدن متلاصقة 20
هيكل المدن 20
مجلس الشيوخ بالجامع بمثابة الادارة 21
الدور 22
الأزقة 22
الواحة 23
- المحور الثاني : الحياة الاجتماعية بوادي مزاب..... 25
النزوح إلى الوادي تدريجي 27
السكان الأصليون : قبيلة بني مصعب 27
من الخيام إلى القرى ثم المدن 29
القبائل ومجالسها 29
نظام « ديمقراطي » : استقلالية 30
اعتناق بني مصعب الإسلام : معتزلة 30
تحولهم إلى الإباضية 30
الهجرات إلى الوادي 31
- حقيقة اسم بني مزاب (الإباضية) 32

التنظيم القبلي داخل كل مدينة 32
العرش – القبيلة العشائر 32
لكل قبيلة مقدم ولكل عرش مقدم 33
تعريف العشيرة 33
مجلس الضمان للأمور العامة 35
استقلال كل مدينة بذاتها 35
نظام الحراسة 36
رفقة ففرقة فمركز فرعي فقيادة عليا 36
محاكمة الجناة 39
الإطاحة بنظام العزابة إذا انحرف 39
كيف تحول مركز السلطة إلى الهيئة الدينية 40
قبل أبي عبد الله بنو مصاب معتزلة 40
أبو عبد الله مؤسس مزاب وواضع نظام الحلقة 40
الانتقال من الغيران إلى المسجد 40
أبو عمار عبد الكافي والإعداد النهائي لسير الحلقة 40
حلقة العزابة تتصدر أمر وادي مزاب 41
- تحرر أفراد الحلقة في اختيار الأعضاء 41
- عدد العزابة ووظائفهم 41
- شيخ الحلقة 42
- مهام حلقة العزابة 42
- نظام الولاية والبراءة 43
- إضراب الحلقة عند تمرد العامة 43
التكامل بين أعضاء الحلقة ومجالس العشائر 43
الهيئة النسوية 44

المجلس الأعلى على مستوى مدن مزاب 44
دوره التشريعي 45
انتخاب شيخ الوادي ودوره 45
الفتن الداخلية 46
الفتن الخارجية 48
المرأة المزابية 49
مشاركة فعالة في الحياة الداخلية العامة 49
هيئة النساء في كل مدينة ملحقة بالحلقة 50
لقاء « لا إلــه إلا الله » 50
المرأة المزابية والهجرة 52
اللغة المزابية 52
المناسبات 54
الأعياد الدينية 54
بعض جمعات السنة 54
شهر مارس وزيارة الأماكن التاريخية 55
توديع الحجيج واستقبالهم 55
المزابيون والزي الموحد 55
- المحور الثالث : الحياة الفكرية في وادي مزاب 57
ذكر بعض خصائص الفكر الإباضي 59
مزاب محطة جديدة مع مسلك الكتمان 59
السيرة المسورية البكرية 59
أبو عبد الله يستفيد من كل رصيد المدرسة الإباضية 60
مزاب والاستهلاك الثقافي 60
مزاب والانتاج الذاتي 60

سبعة من أعلام مزاب 60
لكل مدينة كيان ذاتي 61
الرباط بين مدن مزاب 61
أسس الإباضية قاعدة حياة المزابيين 61
العقيدة الإباضية 61
الفقه الإباضي 62
السلوك 62
البراءة نظام زجري صارم 62
العوامل التي شدت بين أهل مزاب 63
حلاوة التنعم وسط هذا الكيان 63
العامل التلقائي 63
- المحور الرابع : الحياة الاقتصادية في وادي مزاب ... 65
اعتراف بجد المزابيين 67
مجتمع بدو ثم متحضر 67
النخلة والفلاحة 67
التقشف والاكتفاء الذاتي 68
من أين الماء ؟ 68
الآبار والسواقي والسدود 69
التجارة المحلية والوطنية والعالمية 70
المتاجر مدرسة لتكوين الأجيال 70
دار الجماعة في المدن غير المزابية 70
الصناعة 70
مقرات المزابين في كبريات العواصم –تونس– باريس. 70
الأوقاف بجدة والحرمين الشريفين 71

- المحور الخامس : الحياة السياسية في وادي مزاب 73
مسلك الكتمان والإمامة الصغرى 75
نظام الحلقة وتنظيم كل مدينة ثم المدن 75
التبعية للعثمانيين شكلية 75
رفض الاستعمار الفرنسي 76
مشاركة فعالة في حرب تحرير الجزائر 76
التبعية الكاملة لحكومة العاصمة 76
خاتمة : 77
الخرائط 79
المصادر والمراجع 87
ثبت لأهم الشخصيات الإباضية الذين ورد ذكلاهم في البحث 93
فهرس الآيات 132
فهرس الأعلام 135
فهرس القبائل والفرق والأجناس 139
فهرس الأماكن 143
فهرس الموضوعات 149